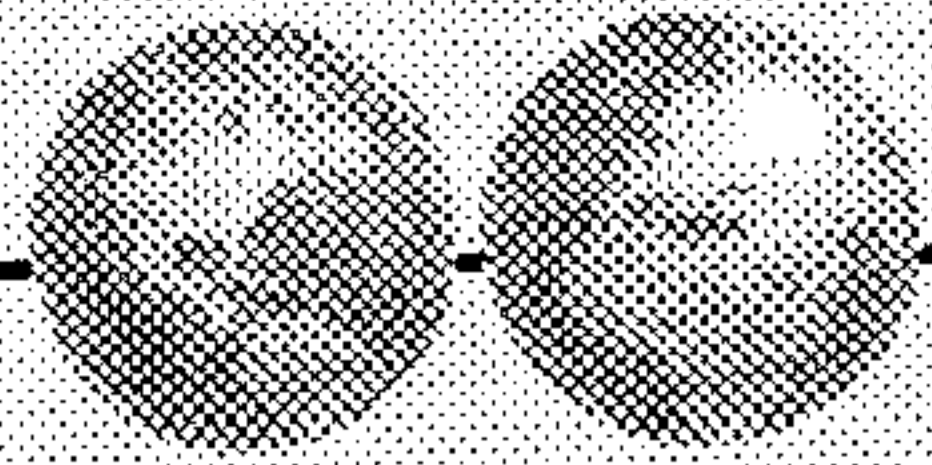


قطاع الثقافة □



دار اخبار اليوم □

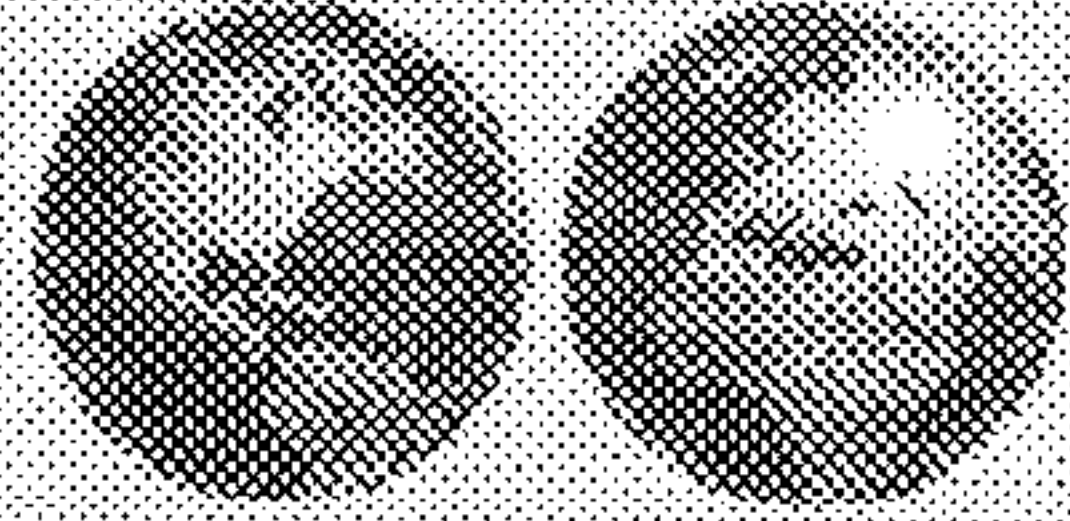
رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعد

تم تحميل الكتاب من المكتبة العربية :

[HTTP://WWW.TIPSClub.COM](http://www.tipsclub.com)

تأه في لندن



دار اخبار اليوم
قطاع الثقافة

جمهورية مصر
العربية

٦ شارع الصحافة
- القاهرة -

- تليفون - فاكس -
٥٧٩٠٩٣٠

الرسوم الداخلية بريشة الفنان


مصطفى حسين

الغلاف و التصميم الداخلي:

أحمد سامح



المكتبة العربية
<http://www.TipsClub.com>



صحة نفيس
ثلاثة في لندن!

محمد عفيفي، تأثبه في لندن محمد عفيفي، تأثبه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تأثبه في لندن محمد عفيفي، تأثبه في لندن محمد عفيفي



ما كدت أدخل بهو المطار حتى جلجل في الميكرفون صوت نسائي يردد
هذا النداء الغريب:

- مستر موهاميد أفيقي هوسين!

وحيث أن العبارة تبدأ بكلمة مستر فقد كان من الواضح أنها تردد اسم
رجل ما، ذلك الاسم الذي خيل إلى أنه ليس غريبا عني تماما.

- مستر موهاميد أفيقي هوسين!

هكذا كررت السيدة الانجليزية نداءها، ولم أحتج منها إلى أكثر من
تكراره مرة أخرى لكي أنتبه إلى أنه لا يخرج عن كونه اسمي الكريم!
وكان طبيعيا أن يقترن ذلك الاكتشاف بخفقة قلب زائدة، لأنه كيف عرفت
تلك السيدة أنني قد وصلت إلى لندن؟ وإذا كانوا قد التقطوا لها اسمي من
بين كشوف الركاب فلماذا ينادون علي، وماذا يريدون مني؟!

هناك احتمال لأن يكونوا - لسبب أو لآخر - قد اشتبهوا في أمري وظنوا
انني قد حضرت بقصد إجرامي، كسرقة جواهر التاج مثلا، ولكنني رأيت
أنه - بالنظر إلى صحيفة سوابقي - احتمال ضعيف جدا.. فلا يبقى إلا أن

تأنيه في لندن

بشائر لندن

يكونوا متابعين لكتاباتي، وأنهم ما برحوا ينتظرون وصولي لكي يحاولوا استدراجي للكتابة في إحدى صحفهم التي أرجو ألا تكون جريدة التايمز.. فمثل هذه الجريدة ذات الميول الصهيونية لا يمكن أن تلائم مزاجي، وأفضل منها بكثير صحيفة الجارديان ذات الميول المعتدلة والمنصفة في كثير من الأحيان، الأمر الذي لا أظن سوف يجعلني أتزحزح عن مائة جنيه استرليني كثمن للمقال الواحد!

فقصدت إلى مصدر الصوت لأجد فتاة حلوة على رأسها برنيطة مضحكة، مضيئة أرضية عندها ورقة تركها لي أحد المعنيين بأمرى، صديق لي كان قد وعد بانتظاري في المطار ثم علم هناك أن طائرتي سوف تتأخر عن موعدها عدة ساعات ولن تصل إلا بعد منتصف الليل، فرأى من الأفضل أن يعود إلى منزله لينتظرنى هناك بصحبة زجاجة سكوتش. فهي كما ترى فرحة لم تدم طويلاً، وكانت وجيزة جداً تلك الفترة التي قضيتها في «فليت ستريت».

وأحالتني البنت إلى رجل من الجمرك قال لي:

- لماذا تزور لندن؟

هكذا سألني موظف الجمرك وهو ينقل بيني وبين الباسبور نظرة متعبية تدل - بما لا يقبل الشك - على الموقف الاسترليني العام. وكنت قد أذرت من قبل بأنتى سأواجه بهذا السؤال التقليدي في جمرك لندن، ولذلك سلّيت نفسي في الطائرة بأعداد بعض الاجابات المبتكرة التي أرجو أن تزيل عن نفس الموظف المسكين ذلك الملل الذي لا بد أنه يعانيه من طول استماعه لنفس الاجابات الرسمية المتكررة.

اجابة رقم ١ : لكي أتفرج على تغيير الحرس!..

اجابة رقم ٢ : لكي أطعم الحمام في ميدان الطرف الأغر!..

■ بشائر لندن ■

■ تائه في لندن ■

اجابة رقم ٣: لكى ادعو سارة تشرشل إلى كأس!..

اجابة رقم ٤: لكى أتفرج على الجيوكوندا فى نسختها الأصلية!..

والمفروض بالنسبة لهذه الاجابة الأخيرة أن يقول لى الرجل:

- ولكن الجيوكوندا فى باريس لا فى لندن..

فأجيبه بقولى:

- هذا ما اكتشفته وأنا فى الطائرة!

فيضحك الرجل وسائر زبائن الجمرک، وأكون بذلك قد أثبت وجودى

الفكاهى من اللحظة الأولى.

غير اننى لسبب أو آخر - لرهبتى للموقف فى أغلب الظن - لم أنجح فى

التفوه بأى من تلك الاجابات، ولم أزد عن قولى فى حدة لا مناسبة لها:

- ألا تحب أنت أن تزور القاهرة؟

ففكر الرجل لحظة قبل أن يقول:

- ول!..

وهى المرادف الانجليزى لقولك بالعربية:

- يعنى!..

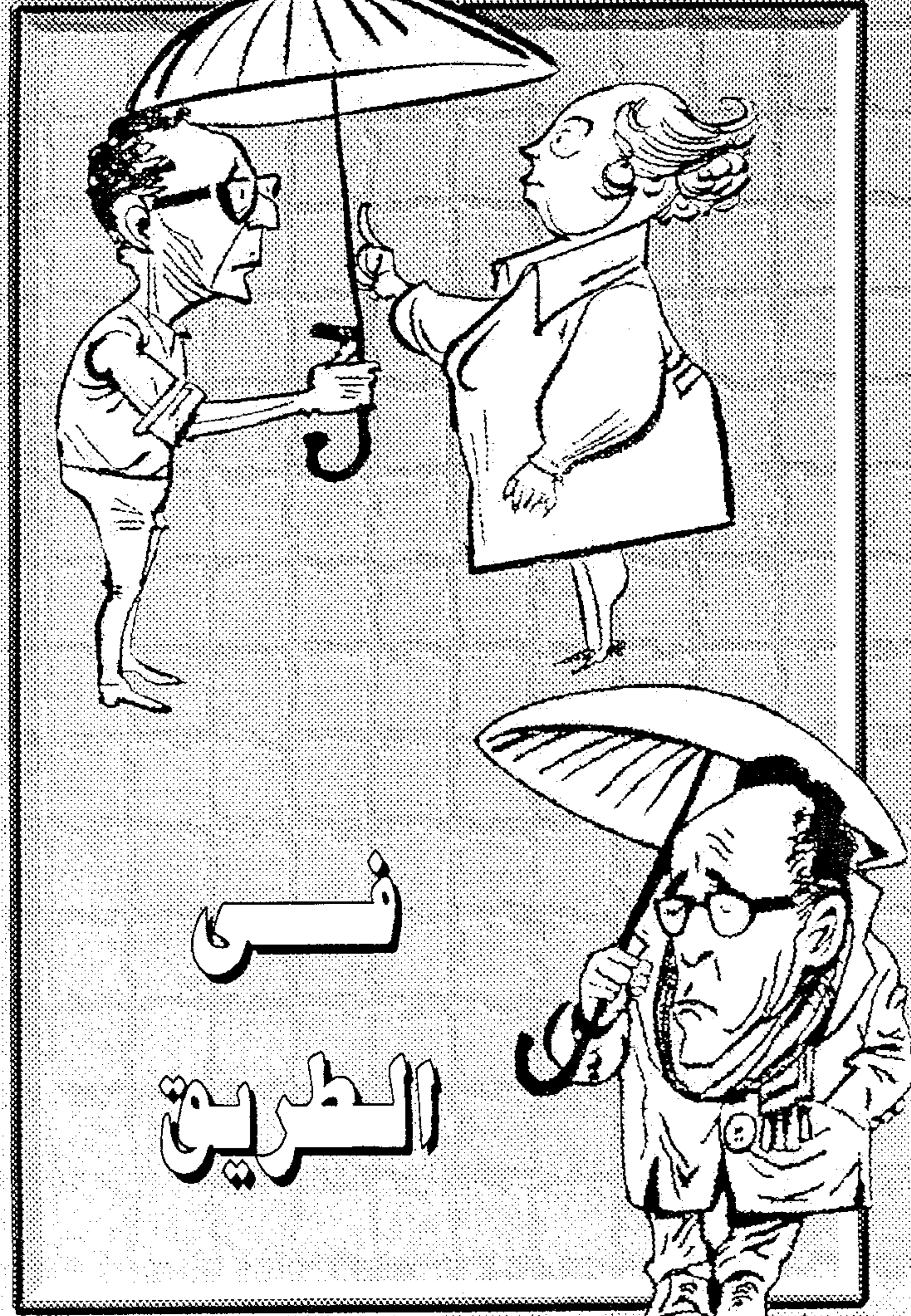
وبابتسامة جمركية باهتة وموزعة بينى وبين الزبون الذى ورائى، ناولنى

باسبورى وهشنى إلى شوارع لندن.

■ في الطريق ■

■ تائه في لندن ■

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

■ قطاع الثقافة ■

فى انتظار تاكسى يحملنى إلى منزل صديقى رأيت أن أفوت تاكسيا بعد آخر،
نافرا من تلك السيارات السوداء الكبيرة التى تمر بى، ومنتظرا أن يصل تاكسى
مرسيدس محترم أو حتى نصر...!!

ولكن انتظارى طال دون أن يمر بى سوى تلك السيارات السوداء الكئيبة التى
تبين لى فيما بعد انها هى النموذج الموحد للتاكسى اللندنى، والتى لا ينقصها
سوى لافتة كتب عليها «تحت الطلب» لكى تتحول إلى سيارة من السيارات التى
نخصصها عندنا لنقل الموتى!

وصديقى الذى سهر فى انتظارى صحبنى (لاحظ ترنحه الخفيف) إلى عمارة
فى شارع هادىء قريب، خال من المارة حتى لتكاد تسمع فيه شخير النائمين.
والعمارة ترتقى إلى بابها سلما حجريا من بضع درجات، والباب للأسف مغلق
يحتم على أن يكون أول شىء أفعله أن لندن - يا للخجل! - هو ايقاظ السيد
البواب!

فابتسم صديقى فى رثاء لسذاجتى الشرقية وأخرج من جيبه مفتاحا دسه فى
الباب فإذا به يفتح، وإذا به يدخل وأنا وراءه وكأنه بيت أبينا! فلكل ساكن
بالفندق - كما أفهمنى - مفتاحه الخاص بباب العمارة إلى جانب مفتاحه الخاص
بحجرته، والبوابون نوع من الرفاهية التى لم تنجح الدول الغنية بعد فى
استيرادها من الدول النامية!

- طيب والحرامية؟

هكذا سألت صديقي فقال انه من السهل بالطبع على أى انسان أن يدخل الفندق بمفتاح مستعار، ولكن الحاصل أن اللصوص الانجليز لا يميلون إلى السطو على المنازل مفضلين أن يتفرغوا للسطو على البنوك والقطارات. - والدول النامية!

هكذا أضفت وأنا أصعد إلى حجرتي، وهناك هممت بأن أخلع ثيابي لولا ما تنبتهت إليه من أن شيش النافذة مفتوح وليس ثمة ما يستر الحجرة سوى ستارة خفيفة تغطى زجاج النافذة. ولما كنت أرفض أن أعرض مفاتيحي على الشعب الانجليزى بهذه السرعة فقد قصدت إلى النافذة لكي أقفل شيشها. ولكن هذا كان عملا مستحيلا تماما، لا لأن الشيش عصلج فى يدي أو ما شابه ذلك وإنما لأن النافذة لم تكن مزودة بأى نوع من الشيشان، مجرد لوحين من الزجاج تغطيهما - أو قل تفضحهما - تلك الستارة الشفافة المضحكة. فلا بد أن صديقي - حرصا منه على فلوسى أو خوفا من أن أفلس واقترض منه - قد تعمد أن يختار لى هذا الفندق الرخيص الذى لا شيش له، الأمر الذى لا يترك لى مفرا من أن أبحث عن فندق آخر فى الصباح.

ولكننى لم أفعل ذلك بالطبع، وذلك لما أطلعنى عليه نور الصباح من أن كافة النوافذ فى كافة العمارات حولى من نفس النوع، مجرد لوحين من الزجاج تغطيهما تلك الستارة الفاضحة ونظرا لما اكتشفته فيما بعد من أن هذه حال المدينة كلها فقد فهمت أن الشيش هو الآخر - مثل البواب - من الرفاهيات التى لم تصل بعد إلى الدول الثرية.

وكان صحوى فى الصباح على شعاع شمس دافئ تسلل إلى سريري من خلال الستارة الشفافة، الأمر الذى فهمت منه لماذا يرفضون تركيب الشيش للنافذة، وذلك لكي يستيقظوا مع شروق الشمس ولا تروح عليهم النومه مثلنا! ومتمطعا تحت الشعاع الدافئ المبهج كرهت أولئك المغرضين الذين يشنعون على

■ فى الطريق ■

■ تائه فى لندن ■

العاصمة البريطانية ويقولون إنها بلد غير ذى شمس. ثم نهضت ولبست الرداء المناسب لهذا الصباح المشرق وهو البنطلون والقميص أو نص كم، ذلك الزى الذى لم أخرج به لسبب قد يبدو لك غريبا بعض الشيء وهو عدم موافقة صاحبة البيت؟

سيدة قصيرة بدينة مرحة معقوفة الأنف مكورة الوجه، ذكرتني بأمرى فى صباحها فأدركت من البداية أنه من شبه المستحيل أن يكون لها من دور فى حياتي سوى دور صاحبة البيت! عن أسمى سألتني وعن هويتي، متطرفة إلى سؤالي عما إذا كنت قد أخذت فكرة من صديقي عن الأجر الذى تتقاضاه من الزبون فى مقابل المبيت والافطار. وياطمئنناها على ذلك قالت:

- ماذا تحب أن أطبخ لك؟

وضغطت على كلمة «أطبخ» كى تفهمنى ان اعداد الافطار ليس لعبة كما قد يتوهم شرقى ساذج مثلى. فتمنيت أن أطلب منها أن تطبخ لى صحنا من الفول المدمس ولكننى تذكرت أن هذه رفاهية ثالثة لا يمكن أن تكون قد وصلت بعد إلى لندن.

- هل تحب البيض المسلوق؟

- أحبه!

أم تفضله مقليا؟

- لا مانع؟

- وهل تحب بيكون؟؟

فتفكرت فى الموضوع لحظة قبل أن أقول لها باسمها:

- روجر أم فرانسيس؟

وانتظرت أن تضحك ولكنها لم تفعل، وتاريخ الفلسفة على العموم ليس من الأشياء التى يتوقعها الرجل المصرى عند صاحبة البيت الانجليزية، وقد رفضت

■ فى الطريق ■

■ تائه فى لندن ■

البيكون بالطبع لأننى لا أحب وأنا متجه إلى الجنة أن أجد خنزيرا يسد على الطريق!

ثم نظرت الحرمة السكسونية إلى ثيابى بنوع من الريبة وقالت:

- هل ستخرج هكذا؟

ولم لا.

- ربما تمطر!

- فى مثل هذا اليوم الصحو؟ يا شيخة!

- كما تشاء!

واستدارت وخرجت لكى تطبخ لى الافطار المكون من بيضتين مسلوقتين وصحن من المربى وكوب من عصير فاكهة لا أعرفها. وانتهيت من إفطاري فوقفت أتفكر فى تحذير السيدة لى بشأن المطر، أفليس من الممكن أن تكون الولاية أدرى منى بجو بلادها؟ وسرعان ما أتانى الجواب من الخارج، إذ خيل إلى مدى لحظة أن الكهرباء قد انقطعت عن الحجرة لولا ما تذكرته من أننا فى الصباح وليس ثمة مصابيح مضاءة. وعلى الغرفة زحفت موجة مفاجئة من اللون الرمادى القاتم، وإذا بالمصباح الذى انطفأ هو المصباح الأعظم المسمى بالشمس! ورنين على زجاج النافذة لقطرات المطر التى بدأت تتساقط وتنزلق على الزجاج فى خيوط طويلة متلاحقة. فى غمضة عين تطايرت أوراق النتيجة - كما يحدث فى السينما - من شهر أغسطس إلى شهر فبراير، ورعدة مفاجئة بدأت تسرى فى بدنى تحت القميص ذى النصف كم! فأسرعت إلى البدلة ألبسها بدلا منه، وتمنيت وقد لبستها لو كان معى بلوفر أضيفه إليها، وياحبذا بكوفية أيضا!

وبينما أنا خارج رجوت ألا ترانى الولاية لكى لا تشمت بى، ولكنها ضبطنى ولسعتنى من بعيد بنظرة سكسونية ساخرة.

- جالك كلامى؟!

هكذا قالت لى قبل أن تضيف شارحة:

- نس إذ لندن بونو؟

ورأتنى أقف عند الباب مترددا فى الخروج تحت المطر فقالت:

- هل تحب أن تستعير مظلتى اليوم؟

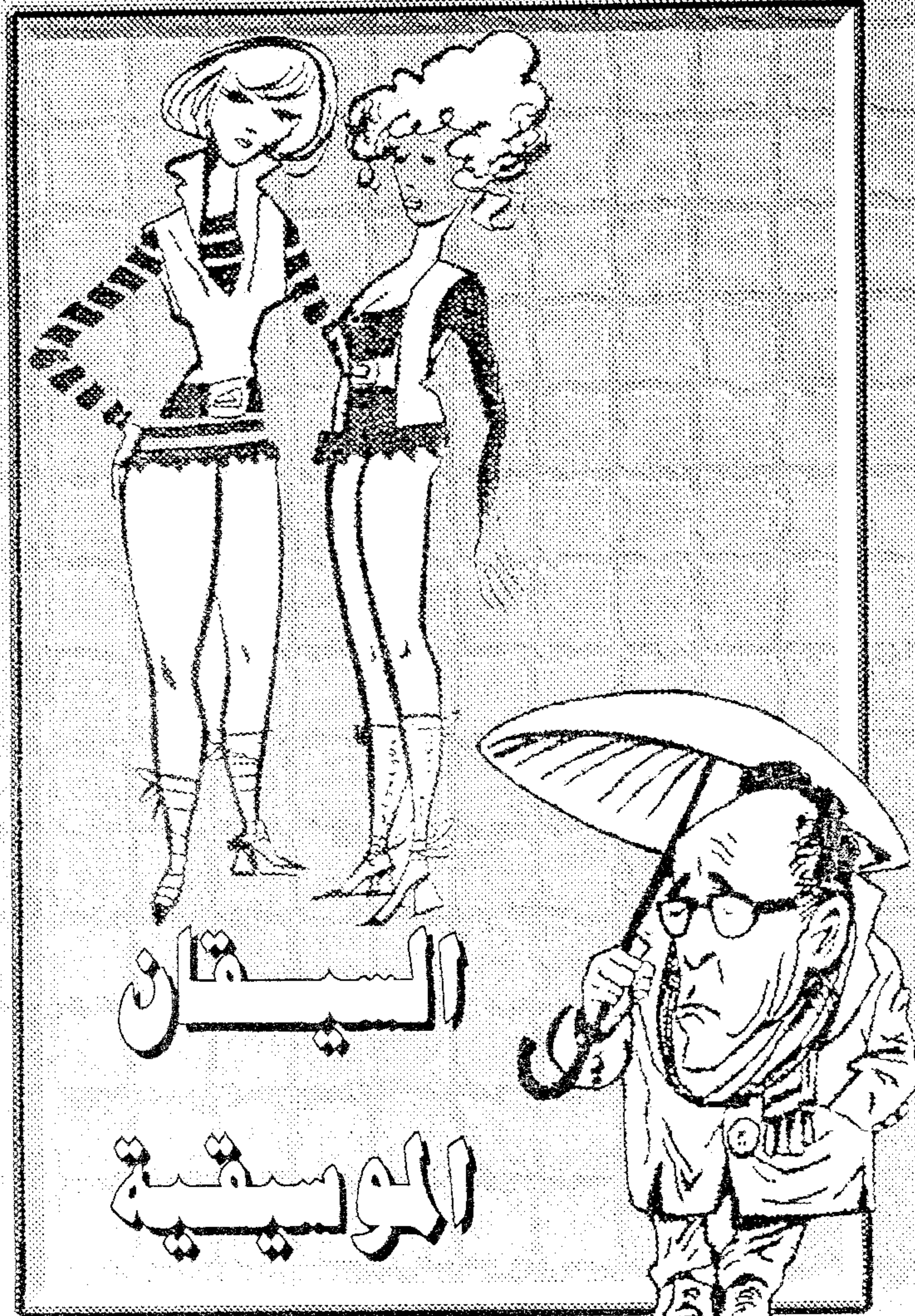
وضغطت على كلمة «تستعير» مخافة أن تتحول فى عقلى والعياذ بالله إلى تأخذ! كما ضغطت على كلمة «اليوم» مخافة أن تصبح استعارتى للشمسية عادة يومية! وعلمتنى كيف أفتح تلك المظلة العتيقة السوداء وكيف أقفلها، مخطرة اياى زيادة فى الفائدة بأن ثمنها ثلاثة جنيهات ونصف! وعند الباب وقفت أتهياً لخوض التجربة المبتلة، لحظة من التردد ثم تنحنحت بالحزم اللازم وخرجت، غير ناس بالطبع أن أرفع حاجب السخرية الأيسر بما يناسب رجلا يحمل المظلة فى شهر أغسطس! وتحت المظلة سرت متحديا للمطر المنهمر وشرعت فى رحلة التوهان فى شوارع لندن

٢٢٥٠٦٥

■ السيقان الموسيقية ■

■ تائه في لندن ■

محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي

كذكر شرقى أعترف بأن أول ما لفت نظرى فى الشارع اللندنى هو المينى جوب الذى يسمونه هنا بالمينى سكيرت، مع ازدياد فى الاهتمام من ناحيتى عندما يتحول إلى ميكرو جوب، مرتفعا إلى أعلى حتى يصل إلى مستويات ينسى معها أنه كان فى أى يوم من الأيام عند الركبة، وحتى يوشك أن يتحول مما فوق هذا إلى ما تحت ذاك! ونسمة لندنية عابثة تهب عليه فتعطيك فكرة عن حقائق الحياة ما كنت لتأخذها بغير شهادة من المأذون أو من كلية الطب!

مثل هذا اللباس لو ظهر فى الشارع القاهرى لبظت عين أكثر من ذكر مصرى، ولالتوى أكثر من عنق، ولربما قامت مظاهرة طلابية تحتاج فى فضها إلى أكثر من سيارة نجدة. فلو أن ذكور لندن كانوا من نفس النوع لتوقفت الحياة هناك توقفا تاما، وكان فى مقدور جيش أجنبى أن يحتل المدينة ويعلن الجمهورية بدلا من الملكية والشعب الانجليزى مشغول بالبحلقة! فليس ثمة بنت فى لندن لا تلبس المينى أو الميكرو، ذلك اللباس العصرى الذى صار بمثابة الزى الرسمى لأنثى البشر. وعلى الأرصفة تتواهب آلاف السيقان الطويلة البيضاء العارية، أشبه بمفاتيح البيانو البيضاء وهى تتماوج تحت أصابع روبنشتين.

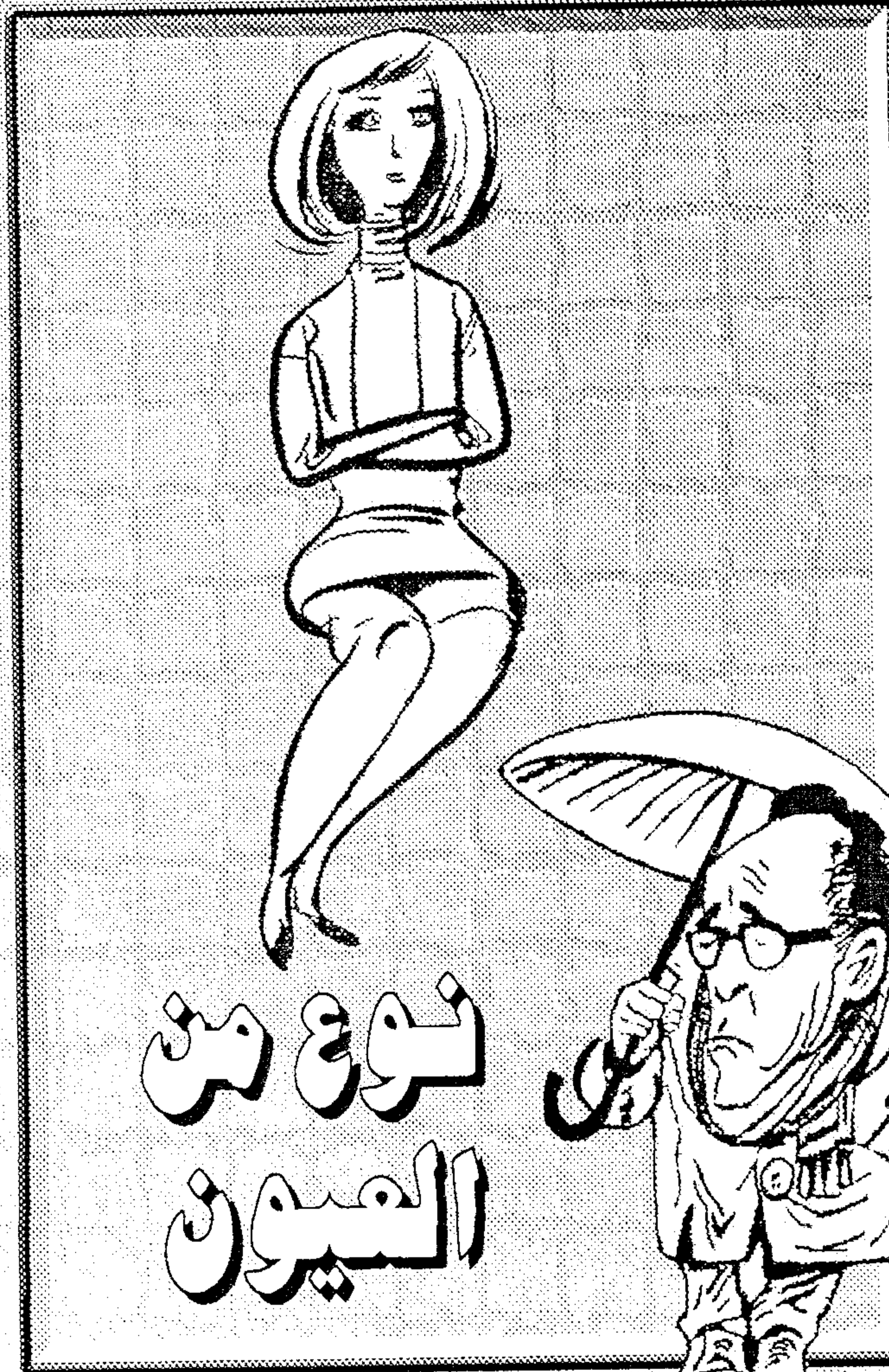
وأنت فى لندن لا ترى السيقان السكسونية فحسب، بل إنها تعرض

عليك - لندن وبصفتها مدينة سياحية من الدرجة الأولى - كافة السيقان الغربية على مستوى حلف الأطلس والكمونولث! حاشا لله أن تحجب عنك فخذيها أنثى دون الثلاثين من العمر، أو دون الأربعين إذا أخذنا في اعتبارنا قدرة معاهد التجميل الحديثة على إزالة آثار البعد الرابع. والعذرية بالطبع ليست شرطا لارتداء ذلك الثوب، فمع هذا الشرط ما كانت ترتديه أية أنثى من الغرب! بل يكفي كما قلت أن تكون الأنثى في شبابها، والشباب لا يتنافى مع أن تكون زوجة وأما لأكثر من طفل. ولقد رأيت كثيرا من الأمهات يدفعن عربات الأطفال بالمينى والميكرو، ذيول فساتينهن الرمزية تهفهف على رؤوس الأطفال السعداء في جناتهم الصغيرة، والجنة كما تعرف تحت أقدام الأمهات!

■ نوع من العيون ■

■ تائهة في لندن ■

محمد عفيفي، تائهة في لندن محمد عفيفي، تائهة في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائهة في لندن محمد عفيفي، تائهة في لندن محمد عفيفي

وبالطبع يزداد الأمر طرافة عندما تجلس لابسة ذلك الثوب أمامك، عارضة عليك من الثروة التشريحية ما لا شك أنه يضيع على العريس الغربى كثيرا من مباحج الاكتشاف فى ليلة الزفاف! ويمثل هذا الفستان جلست أمامى احداهن فى عرية المترو، وبالصعوبة المناسبة للذكر الشرقى نزعت بصرى عن محتويات الثوب السفلية ورفعته - بصرى طبعا - إلى وجهها حيث قابلتنى عينان زرقاوان واسعتان، فيهما قرأت ذلك المعنى الغامض الذى طالما حيرنى كلما نظرت إلى عيون النساء فى لندن، والذى يمكنك أن تقول - إذا أردت أن تحسم الأمر بسرعة - إنه نوع غير متوقع من الجرأة الحادة المقتحمة.

نعم هى جريئة جدا عيون إناث الغرب، جريئة وصريحة وحررة مع رجاء منى للقارىء ألا يشرع فى الشمشمة بأنفه الشرقى باحثا فى تلك الحرية الجريئة عن أية رائحة للجنس، فلرب نظرة حية متلصصة فى عين ناعسة شرقية تثير من احياءات الجنس أضعاف ما تثيره تلك النظرات الجريئة فى عيون بنات الغرب. فهى جرأة من نوع جرأة الرجل فى استطلاع ما حوله من الأشياء وفى تفحصها واطالة النظر إلى ما يثير اهتمامه منها، تلك الجرأة التى لا علاقة لها بالجنس من قريب أو بعيد. فلعلك تحتاج إلى أن تغوص فى أعماق الريف الغربى لكى تعثر على تلك النظرة الشرقية المتلصصة فى عيون البنات، تحت ظن منهن بأن تلك النظرات العصرية المقتحمة شئ يتناقى مع أدب الأنثى أو حتى مع شرفها.

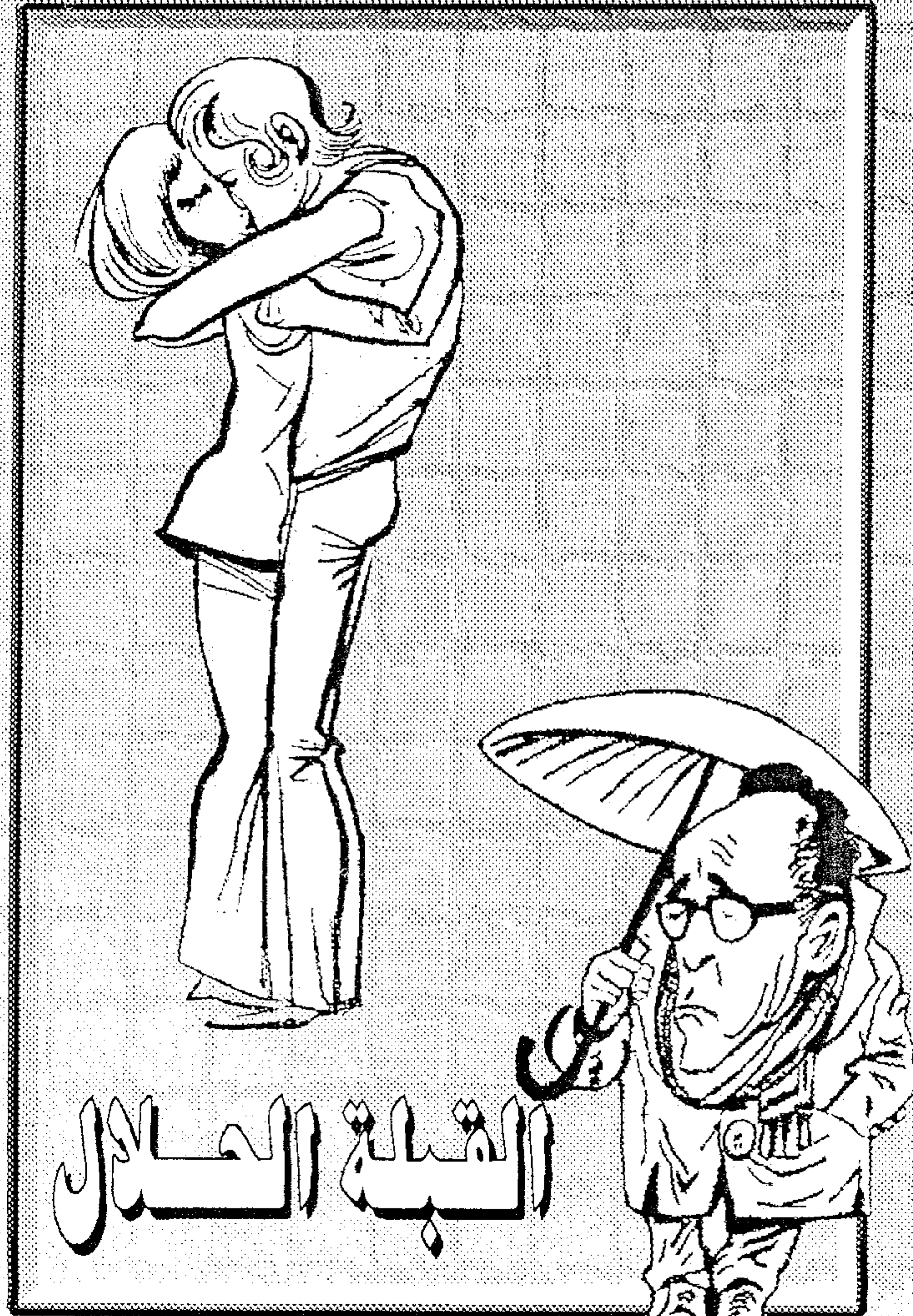
ومن حقيبة يدها أخرجت الفتاة علبة سجائر كنج سايز، ومن العلبة أخرجت سيجارة رشقتها - عقبال الحبايب - بين شفيتها، وسحابة من دخان عاطر غادرت صدرها وتسللت إلى صدرى لتداعب الشعب الهوائية الدقيقة فى رئتى. فلو أن شيئاً من ذلك حدث فى ترام القاهرة لربما سرى ذلك الدخان فى نخاعى الشوكى حتى وصل إلى أصابع قدمى، متسبباً فى صدمة غير متعمدة من حذائى لحذاء السيدة تحت الكرسى، على سبيل رد الفعل المنعكس الناشئ عن فكرة خاصة بشأن الأنثى التى تتعاطى الكيف فى مكان عام.

لكن منظر هذه المدخنة السكسونية كان مختلفاً تماماً، وما استطعت أن أقرأ فى تلافيف الدخان المتماوج بيننا أى شىء غير ما أقرؤه فى الدخان المنبعث من قم ذكر خرمان. بنفس البساطة التى أعالج بها سيجارتى تعالج هى سيجارتها، بأصبعين طويلتين مخضبتين بمزيج من المانيكير وصفرة النيكوتين.

هى اشتاقت للسيجارة فأشعلتها، ماذا فى ذلك؟ ولماذا يكون من حقى - أنا الذكر - أن أنفخ دخانى فى وجهها دون أن يكون لها حق الرد بنفخة مماثلة؟ منطق معقول بغير شك وإن كنت أرجو ألا تستنتج منه اننى أشجع الحريم على التدخين فى الأماكن العامة أو فى أى مكان آخر، فلاشك أن مدخنة شرهة من هذا النوع سوف تنخرط كل صباح فى نوبة من السعال والبصاق بصورة مزعجة لزوجها، بل ومزعجة لصديقها إذا تصادف وجوده فى تلك الساعة المبكرة.

ومن خلال الدخان رأيت فى العيون الجريئة نظرة أقرب إلى أن تكون زغرة، إذ طال تفرسى فى وجهها بما أوقعها فريسة للظنون، متوهمة اننى أرمى بنظراتى المتطفلة إلى أكثر من الدراسة الباردة لما هو متمثل فيها من نموذج للأنثى البشرية المعاصرة فى شمال غرب أوروبا.

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

فى المترو قبالتى شاب و فتاة يتبادلان حديثا لم أفهم منه للأسف حرفا واحدا. فقد كنت محتاجا إلى أن أحضر إلى لندن لكى أكتشف ان الانجليز لا يعرفون الانجليزية، أو على الأقل لا يعرفون الانجليزية التى أعرفها أنا عشرات من التعبيرات الدارجة التى لا يلزمك لكى تفهمها أن تكون انجليزيا فحسب بل وأن تكون جاهلا أيضا. بالاضافة إلى ذلك الموقف الغريب الذى يتخذونه من حروفهم، معتقدين أنها قد صنعت لتؤكل لا لتنطق!

فلعلهما أشفقا على من عدم الفهم - ذلك الشاب وفتاته - وقررا أن يتكلما باللغة التى لابد أن أفهمها مهما كنت غير انجليزى، اذ طوق الشاب خصر صديقتة بذراعه وضمها إليه وأطبق بشفتيه على شفتيها، وهات يابوس!

أصارك القول باننى لم أصدق عينى فى أول الأمر، ولذلك أخرجت منديلا أمسح به نظارتى قبل أن ألقى نظرة ثانية. وتلك النظرة الجديدة أكدت لى نفس الشئ، إنه ليس من شك فى أن هذا الولد يقبل هذه البنت، وانه إذا كانت بينهما مباراة فى عدد القبلات فالبنت هى الغالبة طبعاً! علنا يمارسان أمامى وأمام الجميع هذا العمل الذى نسميه فى القاهرة بالفعل الفاضح ونعاقب عليه

بالحبس مع الشغل، تلك العقوبة التى لا أظن أنها سوف تطبق بالنسبة لعاشقين من هذا النوع الجرىء. فلكى تطبق عليهما يجب أن يؤخذا أولاً إلى القسم ثم إلى المحكمة، وهو ما يستبعد حدوثه بسبب أنهما سيؤخذان قبل ذلك فى أغلب الظن إلى المستشفى وهذا إذا لم يموتا فى الطريق إليه متأثرين بمئات الجراح التى ألحقتها بهما عشرات الأيدي التقية الطاهرة.

لذلك رحت أتلفت حولى إلى وجوه الركاب لكى أعرف وقع الأمر عليهم، ولكى أرى ما هى الإجراءات التى يزمعون اتخاذها وفقاً للطريقة البريطانية. فوالله يا أخى - والله! - ما طرفت لواحد منهم عين ولا اهتزت فى دماغه شعرة. كأنما هذا الشاب لا يقبل الفتاة وإنما يكلمها فى السياسة مع تأييده التام للحكومة لا للمعارضة! لا أحد فى العربة كلها همه الأمر سوى، الأمر الذى جعلنى أنزع بصرى عنهما بسرعة وأشيح بوجهى (لاحظ احمراره) مخافة أن تطول حملقتى إلى القبلة فأكون أنا وفقاً للتقاليد المحلية مرتكباً لجريمة الفعل الفاضح. ويانتهاء تلك القبلة (٥٠ ثانية) عانا يدردشان وكأن شيئاً لم يكن، نحو من دقيقة كانت كافية فيما يبدو لفوران العاطفة من جديد فإذا بهما مرة أخرى يتلاحمان، وهات يابوس!

فيبدو أن القبلة البشرية قد فقدت فى المجتمع الغربى كل ما يحيط بها فى المجتمع الشرقى من شحنات أخلاقية، وأضحت مجرد ظاهرة بيولوجية مثل تناول الطعام. وبما أن هذين الشابين أصغر

■ القبلة الحلال ■

■ تائه في لندن ■

«عنا من أن يكونا زوجين أو حتى خطيبين، فيبدو أن الجنس كله قد صار تلك الظاهرة البيولوجية التي لا دخل لها بفلسفة الأخلاق. ولاشك أن هذا أمر غريب الحدوث في مجتمع يفترض فيه أنه مسيحي، وتعاليم المسيحية كما تعرف الجنس كله بالنجاسة حتى في حدود الزواج، غير متحملة إياه إلا بوصفه شرا لا بد منه لبقاء النوع، تماما كالأخراج (الفسولوجي لا السينمائي!) الذي هو شر لا بد منه لبقاء الفرد.

ولكن المسيحية فيما يبدو قد انزوت في المكان الوحيد المتاح لها في أوروبا الصناعية وهو الكنائس، جالسة في صبر طيب تنتظر زوار يوم الأحد.

■ الكنيسة الخاوية ■

تائه في لندن

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

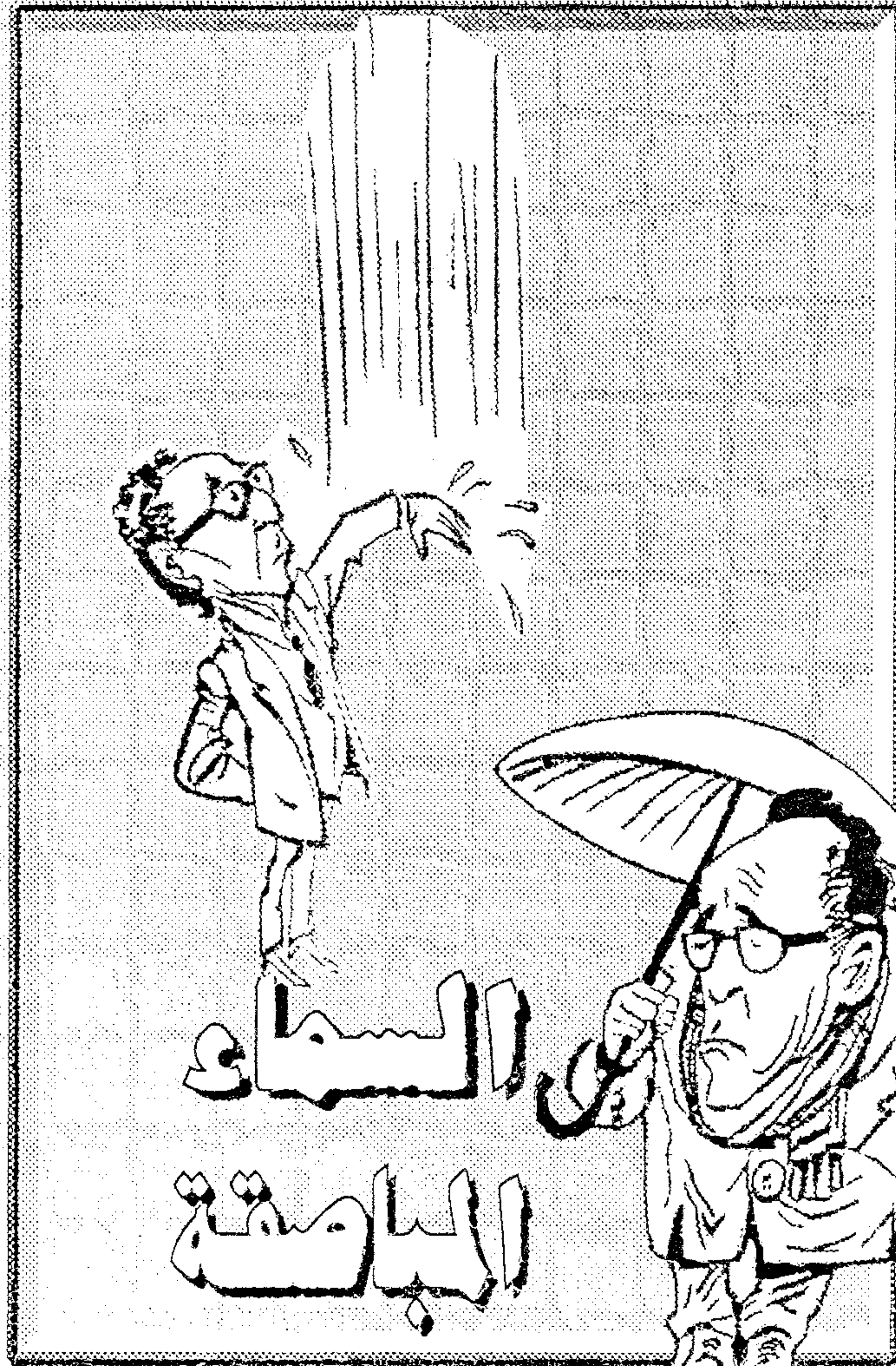
■ قطاع الثقافة ■

وهم للأسف ليسوا كثيرين أولئك الزوار، إذ تعبت ذات صباح فجلست على أول دكة قابلتني، وكانت الدكة بالمصادفة بالقرب من باب كنيسة والوقت صباح الأحد. هناك جلست شاكرًا تلك المصادفة التي ستتيح لي فرصة الفرجة على أتقياء الانجليز وخاصة إذا كانوا تقيًا. فلا شك أنه مما يفيدني أن أخذ فكرة عن العلاقة بين طول فستان البنت ودرجة تقواها، وعن الوضع الحقيقي للميني والميكرو في فلسفة الكنيسة البريطانية الحديثة.

لكنني للأسف لم أر أي شيء. نصف ساعة كاملة مضى عليّ هناك وما من تقي دخل إلى الكنيسة أو تقية خرجت منها، كأن هذه الكنيسة ليست كنيسة وكأن اليوم ليس يوم أحد. وقسيس ضئيل الجسم برز عند الباب وراح يتلفت حوله، أحمر الوجه وديع السمات وفي نظراته معنى من الشعور بالاحباط. هنا وهناك يتلفت حتى استقر بصره عليّ، ومدى لحظة خيل إلى انني رأيت في عينيه نظرة مناشدة. فخطر لي أن أجبر بخاطره وأنهض للصلاة، لكنني تذكرت انني سوف أخطيء لا محالة في أداء الطقوس، فيكتشف الرجل أمرى ويظن انني أرمي إلى السخرية منه، وأكون بذلك قد أسأت إليه وأنا الذي ما رميت إلى شيء سوى الاحسان. فهو معذور بغير

شك ذلك القسيس الآخر الذي قرأت ذات يوم أنه ألحق بكنيسته فرقة من موسيقى الجاز على أمل أن تغري الشباب بالحضور إلى الكنيسة حيث يجمعون بين متعتي الصلاة والرقص، تلك التجربة التي أميل إلى الظن بأنه قد فشلت بسبب ما لا بد أن الشباب قد عانوه من الحرج وهم يرقصون تحت تمثال المسيح المصلوب. فلاشك أنها محنة يعانيتها رجال الدين في انجلترا القرن العشرين، حيث زال أثر للأبرار والمتطهرين الذين كانوا يقتلون الرجل بسبب أصغر شبهة توحى بأنه ليس متطهرا مثلهم. فإذا استمرت الأمور تسير في هذا الاتجاه فلن استبعد أن يأتي يوم تحذو فيه الكنيسة الانجليزية حذو سائر المؤسسات هناك، وذلك بأن تقفل أبوابها في أيام الأحد!

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

وأنا أعرف لماذا كف الانجليز عن التطلع إلى السماء، وذلك لأنك لن تجد منظرا أبغض من منظر السماء الانجليزية! خيمة من السحب الرمادية تخيم طول الوقت على سماء لندن، كثيبة مقبضة تملأ النفس بكراهيتها وكراهية الحياة كلها.. وفجأة يتحول اللون الرمادى إلى ما يشبه اللون الأسود، وتدوى طبول الرعد ويبدأ المطر يتساقط، وأرجو أن تكون قد ابتسمت عند كلمة «يتساقط» باعتبارها نكتة! فكلمة يتساقط توحى بشيء من الايقاع اللطيف الذى يقتنر بأمطارنا، أما هنا فى لندن فهو يهطل وينهمر وينسكب ويندلق إلى آخر ما يخطر لك من الأفعال المغرقة.

فأقل ما يوصف به أنه مهين للكرامة البشرية، ذلك المطر الانجليزى الوغد. كأن السماء تبول على الأرض أو كأنها تريد إعلان رأيها فى الجنس البشرى ببصقة كبيرة مركزة. فلا عجب أن ابتدع الانجليز ذلك التعبير عن السماء التى تمطر قططا وكلابا، وما اختاروا فى أغلب الظن تلك الحيوانات اللطيفة إلا احتراماً لأسماع العيال. فهى فى الحقيقة تمطر ثعابين وعقارب وحلاليق وتيوس! ورياح مثلجة تعصف حولى وتنفذ كالسم فى عظامى، أمشير المصرى نفسه لا يعد شيئاً بجانب هذا الأغسطس الانجليزى. فلا بد

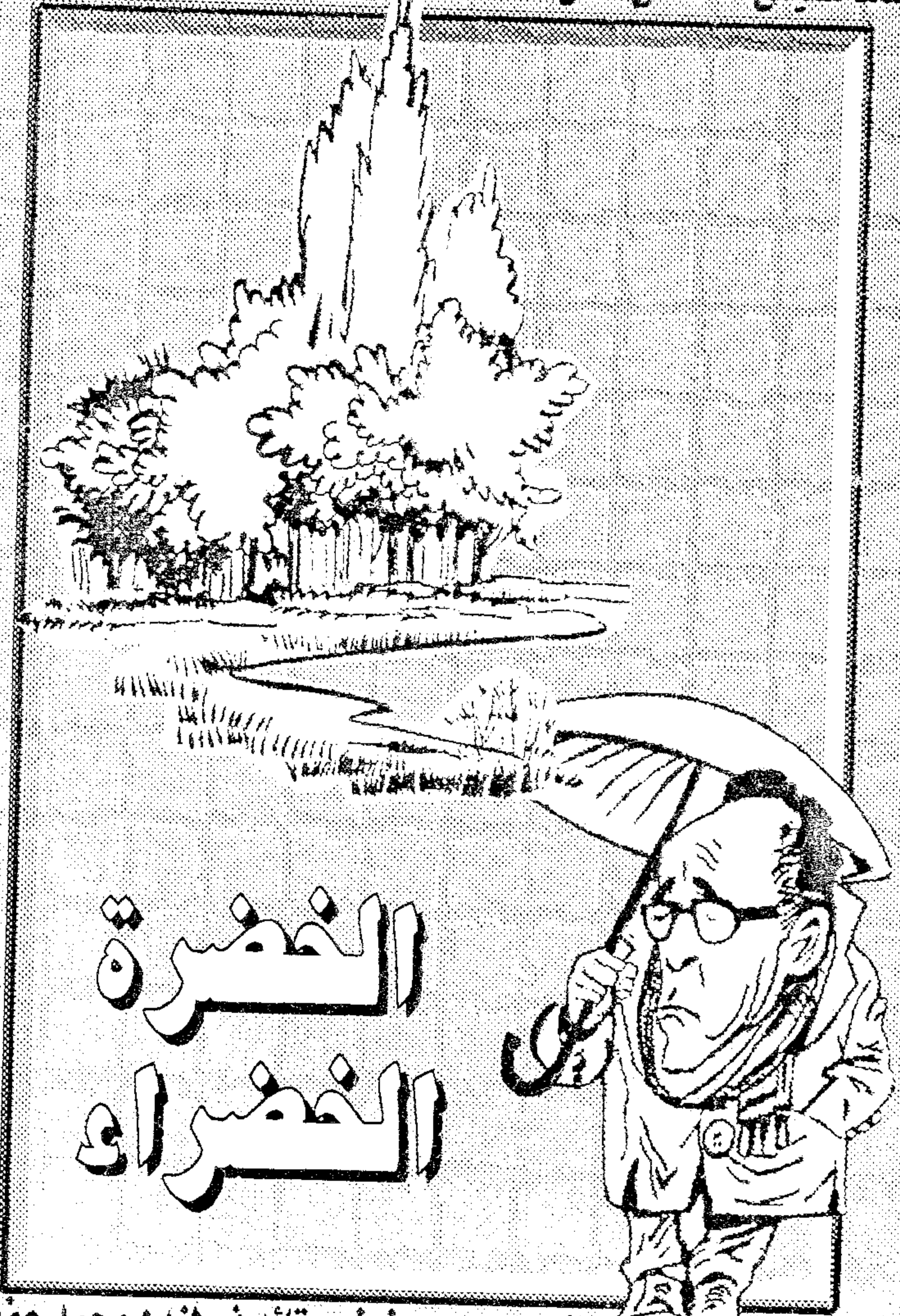
أن أجلس ذات يوم لكى أكتب بحثا عن العوامل السيكوطقسية الكامنة وراء انتشار الانجليز فى الأرض وتكوينهم للامبراطورية. هم كانوا يريدون الخلاص بأية طريقة من جو بلادهم المنحط، ولعلهم ما كانوا يطلقون رصاصة واحدة لو وافق أصحاب القارات المشمسة على منحهم تأشيرة دخول!

فلو طاوعت نفسى المصرية المشمسة لحبست نفسى فى حجرتى وعدت إلى القاهرة لكى أكتب مقالا واحدا عن الفندق الانجليزى! لكننى بالطبع يجب أن أرى لندن، والحمد لله أن الفلوس التى فى جيبى تسمح لى بشراء شمسية مستعملة.

تأثبه في لندن

الخضرة الخضراء

محمد عفيفي، تأثبه في لندن محمد عفيفي، تأثبه في لندن محمد عفيفي



الخضرة
الخضراء

محمد عفيفي، تأثبه في لندن محمد عفيفي، تأثبه في لندن محمد عفيفي

شعور بالعبادة التامة ساورنى حيث سرت فى شهر أغسطس رافعا فوق رأسى تلك المظلة السوداء المضحكة، تحت تلك الخيمة الرمادية المقبضة. وشعور آخر بالفتنة إزاء الخضرة الخضراء فى حديقة هايد بارك، التى هى نتيجة الحمامات السماوية المتواصلة منذ قرون طويلة. وحدى هناك حيث أن اليوم ليس من أيام الأحد، ورقعات من الحشائش الخضراء - كم هى خضراء! تتراعى أمامى إلى مدى الشوف، محدودة هنا وهناك بكتل خرافية من الشجر الأخضر العتيق. ستمائة وأربعون فدانا انجليزيا كما يقول لى الكتاب السياحى الصغير، ولذلك وصفها السياسى البريطانى وليام بت بأنها رئة لندن، ذلك التعبير الذى لا أدرى لماذا تصر على ترديده كافة الكتب السياحية، وربما كان ذلك لما فيه من ابتذال يصل به إلى درجة الصدق التام. فبغير هايد بارك واخوتها من حدائق لندن لاختنق الناس وسط دخان المصانع المحبوس تحت تلك الخيمة الجاثمة على المدينة.

ومن جماع تلك الخضرة الخضراء وذلك الاتساع الرهيب فى تلك الحديقة الفذة ينشأ فى نفس المرء احساس لا مفر منه بالضخامة والجلال، واحساس لا مفر منه هو الآخر بالمرارة. اذ يخيل للأذن

■ الخضرة الخضراء ■

❖ تائه في لندن ❖

المرهفة أنها تميز في حفيف الرياح الباردة عبر الحشائش وبين أغصان الشجر شيئاً كالأنين، لآلاف الأرواح التعسة التي طلعت ذات يوم في كل قارة من القارات الخمس أمام بناقد المستعمرين المتعطشين للدماء، ولأرواح كثير من الانجليز أيضاً. إذ كانت هايد بارك ذات يوم - كما تقول الكتب السياحية - ميداناً للمبارزة بين المأفونين من النبلاء، ومبارة للسفاحين وقاطعي الطريق، ومصبا للعنات الرهبان الذين كانت الحديقة موقوفة عليهم حتى انتزعها هنري الثامن ضمن ما انتزع منهم بقصد قطع دابرهم. غير أن الملكة كارولين - زوجة جورج الثالث - ما لبثت كما يحكون أن طهرتها وحولتها من غابة إلى حديقة، في الأثناء التي كان زوجها مشغولاً فيها بقمع الثورة الأمريكية توطئة لأن يجن.

تائه في لندن

عصافير الليل

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

قطاع الثقافة

عند ذكر هايد بارك سوف يتجه ذهنك بالطبع - أنا عارف ذهنك كويس! - إلى ما ترتبط به تلك الحديقة في جرائدنا من حرية جنسية تتفاوت درجاتها وفقا لمزاج رئيس التحرير. فلعلك مما يفجعك أن تعلم أنني ذرعت هايد بارك أكثر من صباح دون أن أرى أى نوع من القبلات - لا ياربي رأيت ذات صباح قبلة واحدة خاطفة! - فلعل السبب في ذلك أن الناس يكونون في ذلك الوقت في أعمالهم، أو لعل التقبيل الصباحي مفضل هناك في حديقة ريجنت، حيث لمحت في نهاية الحشائش الخضراء المترامية شخصا راقدًا هناك ثم استوى جالسا فاتضح انه ليس شخصا وإنما شخصان!

غير أن الموقف يبدأ في التحسن بالطبع حين يذبل ضوء النهار، إذ سمعت ذات يوم بعد الغروب - هناك حيث جلست على كرسي طويل من القماش ايجاره بالنهار تسعة بنسات - صوت زقزقة لعصفور سيء الخلق بدليل تأخره في النوم إلى ذلك الوقت، ثم تبين لى أنها طرقة لقبلة بين شبحين يجلسان غير بعيد منى على مقعدين متلاصقين بالدرجة المناسبة. فلربما كان التقبيل الليلي هناك راجعا إلى العوامل الاقتصادية البحتة، باعتبار أن القبلة مهما كان نوعها - ولاسيما بعد تخفيض الاسترليني - لا يمكن أن تساوى ١٨ بنسا! ولقد كان يسرنى أن أمكث هناك بعض الوقت لكى أرى كيف تتطور الأمور بعد حلول الظلام الكامل، ولكنك تلاحظ أنه قد مضى ربي

ساعة من الزمان قبل أن ينزل أى نوع من المطر! وتحت ذلك المطر اللندنى الذى انهمر فجأة كان من الصعب على أن أرابط فى الحديقة مهما بلغ نبل ما عندى من مقاصد الاستكشاف. وحتى لو تحديت الأمطار وبقيت، فلاشك أن منظرى حيث أجلس هناك تحت الشمسية لن يكون منظرا مريحا للرأى العام اللندنى خاصة أنا لا أقبل أحدا!! سوف يظنون اننى مجنون هارب من مستشفى المجازيب أو عاقل فى طريقى إليه، أو اننى «توم» بصاص يتنكر تحت اسم محمد، أو أننى لص انتظر لحظة انسجام بين زوج من العشاق لكى أسرق قطعة من ثيابهما، وهذا بالطبع ما لم أكن رجلا من بقايا المتطهرين يفكر فى ذبح المذكورين لكى يكسب شيئا من الثواب.

ومهما كان من أمر - ومهما اشتد الظلام - فلست أظن أنه كان يوجد هناك أى نوع من العشاق، مستبعدا جدا أن يحلو الحب للناس تحت ذلك المطر الوغد الذى لا أشك فى أنه كفيف باطفاء أشد العواطف التهاوبا. وحتى لو وجدت تلك العاطفة التى تصمد لذلك المطر فدواعى المحافظة على البقاء سوف تحتم على العاشق رفع الشمسية فوقه وفوق معشوقته، ولست أظن أنه موجود فى لندن - بالرغم من كل ما فيها من التقاليع - ذلك العاشق الذى يطيب له أن يحب بيد واحدة.

مثل هذا التهور العاطفى قد كان يمكن أن يكون مفهوما لو لم تكن هناك اتوبيسات أو قطارات لها سقوف تظلل الحب من المطر، أما مع وجود تلك التسهيلات العصرية فليس ثمة غير عاشقين مجنونين يختاران هايد بارك حيث يتحابان ويستحمان فى وقت واحد. ولعل هذا هو السبب فيما قيل لى من أنه كان لهايد بارك سور أزالوه فى العهد الأخير، فما لزوم ذلك السور بعد أن صارت لندن كلها هايد بارك!؟

تأه في لندن

عواطف شرعية

محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي

قطاع الثقافة

حتى الكهول قد سرت إليهم عدوى تلك القبلات العننية في الاتوبيس كرهوا في أغلب الظن أن يظهروا أمام الناس أقل اقبالا على الحياة من أبنائهم. أكثر من كهل رأيتُه هناك يضم زوجته إليه ويقبلها، ليوهمها أو ليوهم الناس بأن حرارة حبهما أقوى من أن تطفئها رياح الزمن. وطفل لواحد من أولئك الكهول رأى ذلك المنظر فهب من مقعده، وخف إلى مكان الحادث بالسرعة الأوديبية المناسبة، ماذا شفّيته نحو السيدة يطلب نصيبه من الوليمة!

ولقد سألت صديقا مصريا مقيما هنا عن السبب في هذه العواطف الشرعية المتطرفة فقال إنها لا تخرج عن كونها رشوة يقدمها الكهل لزوجته وهما عائدان إلى البيت بعد السهرة، كنوع من الساندويتشات العاطفية التي يطعمها اياها في الطريق، حتى اذا ما ضمهما المنزل لم تطلب العشاء!

ومهما كان من أمر فأصارك القول بأننى ازاء هذه المظاهرات التقبيلية بدأت أشعر بالخجل الشديد من نفسى، ماشى كده كالبحم دون أن أبوس أحدا! فلو أن معى فلوسا لاستأجرت احداهن لكى أقبلها كلما وجدت نفسى وسط الناس، لا لشىء والله سوى أن أثبت لأهل الغرب اننى لست أقل تقدما منهم!

تائه في لندن

الانجليزي المذعور

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

عدة نظرات مختلصة شبه خائفة وجهها إلى ركاب المترو قبل أن يسمح لمؤخرته بأن تستقر على المقعد بينهم، ذلك «الأفندي» الانجليزي التقليدي بجاكته المحبوكة الرمادية المخططة، المفتوحة عن صديري رسمي ذي عدد من الأزوار يكفي خمسة صديريات، والقبعة المضحكة التي يبدو كأنه يحملها فوق رأسه أكثر منه يلبسها، وجريدة التايمز التي نشرها على حجره وتظاهر بالانهماك فيها كأنه لا يشعر بأحد مما حوله.

- البلد ذاهبة إلى الكلاب!

هكذا سمعته يقول في ذهنه السكسوني القديم، وأصارك القول بأنني عذرتي، بالرغم من علمي بأنني واحد من أولئك الكلاب!

فلاشك أن ذلك اللندنى التعس قد فقد كل شعور بالحرية وبأنه فى بيته وسط كل هذه الأفواج من السياح والمهاجرين، هناك حيث يجلس منفصلا بين عملاق أسود يذكرك بمحمد على كلاى، وهندى ذى عمامة بيضاء تتناقض مع سكسوكتة المشذبة السوداء، وأنثى من أعماق افريقيا فى ثوبها الوطنى المزركش بألوان صارخة فى جراءة يحسد عليها كل منهما، وفتى فرنسى كث الشعر والسوالف يضع حذاءه على المقعد المقابل فى وقاحة لاتينية مزعجة، وايطالى يحكى لصاحبه وبأعلى صوته نكتا يبدو من طريقة ضحك الفتاة أنها بذينة، ولا تلك الشلة من الأمريكان الذين يؤكدون - على مسمع من الأفندى التعس - ان قطارات الأنفاق فى لندن لا تعدو كونها شيئا بدائيا اذا قورنت بأنفاق نيويورك. وهذا غير الألمان والصينيين واليابانيين والسنغال، والناطقين بالانجليزية الذين وفدوا من كندا واستراليا وجنوب افريقيا، ومن أقاليم بريطانيا مثل أهل الريف عند توافدهم على القاهرة فى مولد السيدة، دعك بالطبع من المصرى الذى جلس يحملق إليه برذالة غير مألوفة لكى يكتب عنه هذه السطور! فقد احتجت إلى اسبوع كامل لكى أكتشف أن نصف من اصطدم بهم فى شوارع لندن ليسوا من أهلها، وأن لندن قد تحولت من عاصمة امبراطورية إلى ما يشبه حديقة الحيوان عندنا يوم شم النسيم. فبعد أن قضى الانجليز قرابة قرنين من الزمان وهم يبيعون منتجاتهم فى كافة أنحاء الأرض بقوة السلاح، وبعد أن جرى للسلاح ما جرى، لم يجدوا أمامهم طريقة لاستثمار لندن سوى أن

يؤجروها مفروشة! مثل النبيل الذى تهدده مصلحة الضرائب
باشهار افلاسه فيزِيل الأسلاك الشائكة من حول قصره ويحبس
الكلاب المفترسة، ويفتح الأبواب لكل من يحب أن يتفرج على أمجاد
التاريخ بعد أن يدفع للبواب ثمن التذكرة!
ومن المؤكد أن فى لندن أشياء كثيرة تستحق أن يتفرج عليها
الانسان، حتى بعد أن نسقط من حسابنا تغيير حرس الملكة والبلطة
الأثرية التى قطعت بها رأس أن بولين بأمر من زوجها هنرى
الثامن، بعد أن كان قد طلق فى سبيلها زوجته الأولى كاترين
مضطرا فى ذلك إلى تحويل بريطانيا من الكاثوليكية إلى
البروتستانتية. ذلك أن لندن تتميز على سائر المدن السياحية
بخاصية فريدة حقا، وهى أنه المدينة الوحيدة التى يمكنك أن ترى
فيها - أيا كانت جنسيتك - شيئا كان ذات يوم عندك أنت!

محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي

الحمام

والقرصان



محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي

من البداية أحببت ميدان ترافلجار، وربما كان ذلك بسبب اسمه الذي هو تحريف غربي لكلمة الطرف الأغر بالعربية، فالميدان يتوسطه تمثال القرصان البريطاني نلسون الذي خطف رجله ذات يوم - منتزعا نفسه بسهولة غير متوقعة من أحضان ليدي هاملتون - إلى بحار أسبانيا لكي يحطم أسطولها في الموقعة التي يسمى الميدان باسمها. وقبل ذلك كان قد زارنا في أبوقير حيث تربص للقرصان الآخر نابليون، وبسرعة حطم أسطوله تاركا له الخيار بين أن يتجنس الجنسية المصرية ويدفن عندما يموت في جبانة الشاطبي، أو أن يستأجر من أحد أبي أحمدات الأنفوشي قارب صيد يعود به إلى فرنسا بقيادة بحار فرنسي تمكن من أن ينفذ

بجلده من مدافع نلسون وخرج إلى الشاطئ متعثراً وهو لا يدري
فى حجر رشيد.

غير أن الأغلب اننى أحببته بسبب الحمام، آلاف الحمام التى
تنتشر حول تمثال القرصان الكبير، أشبه بالنحل عندنا فوق عربة
البلح الأمهات، ومئات السياح مجتمعون هناك فى كل ساعة من
ساعات النهار، حتى حين يهطل المطر وترتفع المظلات فوق
الرؤوس، فيصبح الميدان - لو انك نظرت إليه من فوق عمارة عالية -
أشبه بحقل فسيح تغطيه نباتات عش الغراب، وهم طول الوقت
عاكفون على اطعام الحمام بالحبوب التى يشترونها من كشك
خاص فى مقابل ستة بنسات للكيس، تلك البنسات التى لا أعرف
هل تستقر فى جيب صاحب الكشك أم فى خزانة شركة مساهمة
تحتكر حق اظهار العطف على حمام الطرف الأغر.

لاشك أنه منظر دافىء يوحى بما يعمر قلوب البشر من حب كامن
لمخلوقات الله. ومن قدرة على اللهو البرىء، حتى وإن دار كل ذلك
الحب تحت تمثال القرصان الذى مات بعد أن قتل الآلاف. فلعله
نوع من التكفير اللاشعورى عن ذنب قديم، اختيار هذا المكان
بالذات لتجميع كل هذه الأفواج من الحمام المقدس.

والسائح من دول - أو السائحة - ينثر بعض الحبوب على كتفه
فإذا بحمامة أو أكثر تطير من الأرض لتحط هناك وتأكل، ولربما
بسط ذراعيه حوله وطلب إلى أصدقائه أن يغطوها بالحبوب مثل
كتفيه، فسرعان ما يجتمع فوقه من الحمام ما يهوى لك أنك لا تنظر

إلى رجل وإنما إلى برج حمام ومن حوله تطرقع الكاميرات في
أيدي أصدقائه، حتى اذا ما عادوا إلى بلادهم أخرجوا تلك الصور
وهم يتضحكون ويصفقون ويقولون: أما كانوا يومين يا ولاد!
فهذا الميدان في عمومه صورة حلوة للتأخي بين جنس الانسان
وجنس الحمام، وللتأخي بين الانسان والانسان أيضا، بين عشرات
الجنسيات التي تجتمع هناك بالآلاف كل يوم وليس ثمة خناقة
واحدة تقع بين انسان وآخر الكل يلهون ذلك اللهو البريء في
اهمال مفرح لتمثال القرصان الذي مات، حيث يقف على قمة عموده
في هيئة من الغطرسة التي لا تثير شيئا سوى السخرية.

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

لكننى بالطبع لم أحضر إلى الطرف الأغر لمشاهدة الحمام، وإنما لأزور المعرض القومى القائم هناك، والذي يضم ألفا من الصور التى خلقتها ريشة عباقرة الفن فى كافة بقاع الأرض. هى متعة لا يمكنك أن تتصورها بغير الممارسة، متعة وقوفك مذهولا أمام تلك الأعمال الفذة التى سحرتك وهى مجرد صور رأيتها فى كتب الفن. ولكنها متعة كان يجب على للأسف أن أكبحها بحزم، فليس معقولا أن أقضى أسابيع القليلة هنا فى المعرض القومى وحده، فأنت تحتاج إلى شهر وأكثر لكى تستطيع أن تزعم أنك قد رأيت فى ذلك المعرض كل شىء، وتحتاج إلى عمر كامل لتقول أنك قد استوعبت تفصيلات كل صورة على حدة. ولذلك أعدت فى المعرض مقاعد مريحة أمام مختلف الصور، ورب أحد هواة الفن تمر به جالسا على أحد تلك المقاعد يحملق إلى صورة ما، وتتجول بالمعرض كله ثم تعود فتجده جالسا هناك كما كان!

لست بالطبع محتاجا إلى أن أفعل ذلك وأنا لست رساما محترفا ولا حتى هاويا، وما جلست على أى من تلك المقاعد إلا لأريح جسمى، ومخرجا علبة السجائر من جيبى قابلتني زغرة من الحارس الذى ذكرنى بأن التدخين ممنوع، وهذا وإن كان مبررا بسبب الخوف على تلك الكنوز من الحريق، إلا أنه فى الوقت نفسه

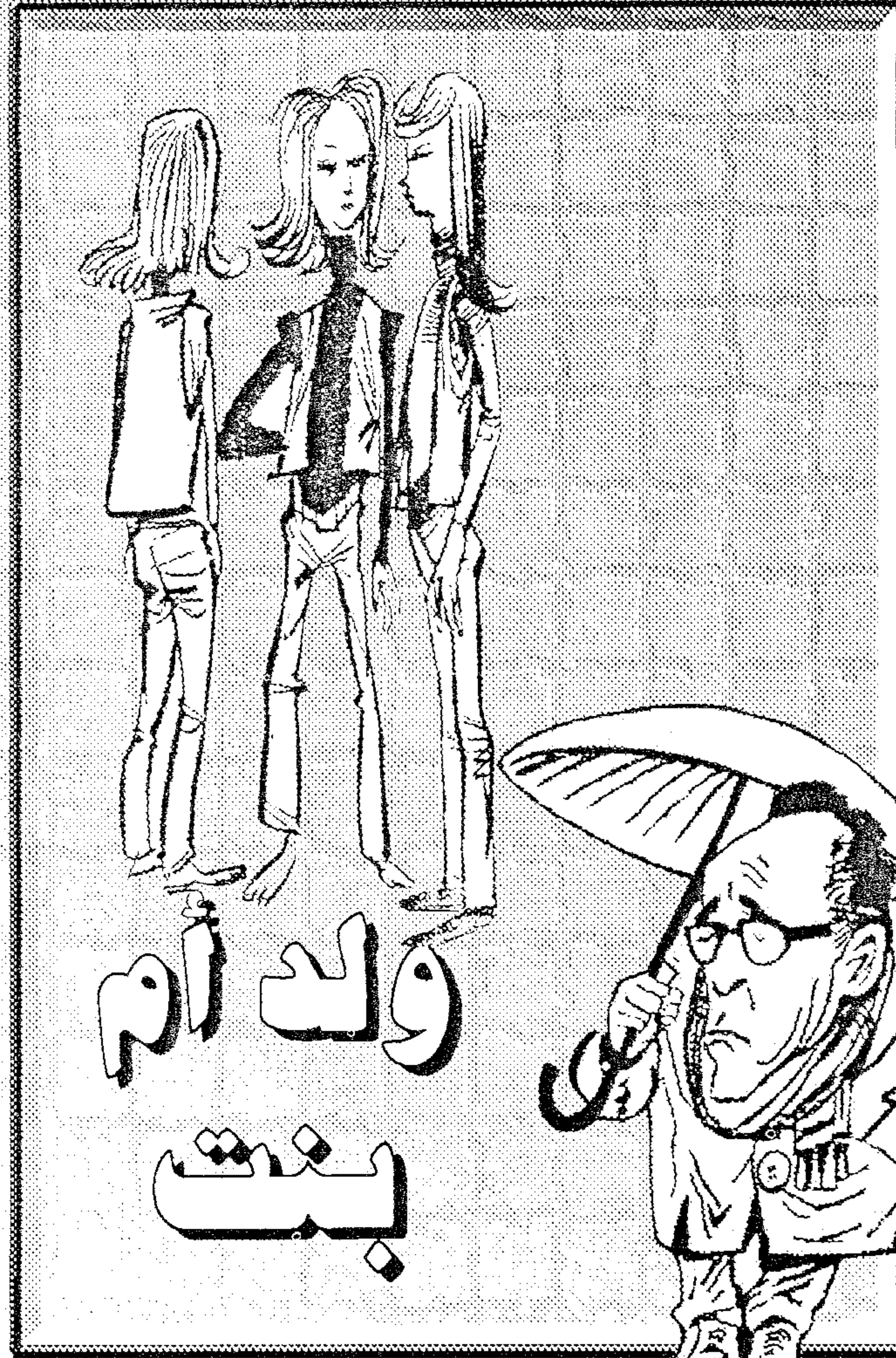
■ شيء من الفن ■

■ تائه في لندن ■

مبهر كاف لأن أنهض وأغادر المعرض! فليست من ذلك الصنف الذي يقدر على الوقوف أمام عاريات فيلا سكويز وروبنز بغير شيء من موجات الدخان تتلاعب حول الأعطاف الفاتنة.

وعلى الرصيف خارج المعرض مررت برجل راكع على الأرض بطريقة تتنافى بعض الشيء مع فكرتي عن التقاليد السكسونية، وعلى براويز من أحجار الرصيف يرسم بالطباشير الملون صورا ساذجة، وكلمة بخط يده على أحد البراويز تقول انه ليس شحاذا وإن كان لا يمانع في تقبل بعض الاكراميات تقديرا لفنه! وبنسات كثيرة ترن حوله على الرصيف، فلعله يعود إلى بيته بثرورة أكبر مما كان عند فان جوخ في الليلة التي قطع فيها أذنه!

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

لست أدري إن كانا انجليزيين أو من السياح، هذان الشابان اللذان جلسا أمامي في المترو، متدثرين بما يشبه عفرينة العمال الزرقاء بدون أن يكونا من العمال، أحدهما ذو شعر طويل يتهدل على كتفيه، لولا آثار الحلاقة في ذقنه لظننت أنه أخته. والآخر على العكس منه قصير الشعر إلى درجة غريبة في منافاتها لروح العصر، الأمر الذي يقطع بأنه ينحدر من أسرة من غلاة المحافظين إن لم تكن من المتطهرين.

لأن الشباب الانجليز كما رأيتهم لا يمكن أن يكونوا قد زاروا الحلاق منذ أخذوا الابتدائية، ومنهم من يستبعد أن يكون قد سمع بالحلاق أصلاً، أقصر شعر على رأس لا يمكن أن يكون قد حلق منذ عهد حكومة المحافظين أو على الأقل - في الحالات النادرة - منذ دورة برلمانية كاملة.

خناقة كبيرة لابد أنها قد وقعت ذات يوم بين ذلك الكهل الانجليزى الرسمى وبين أبنائه حين رفضوا الذهاب إلى الحلاق، أو حين تظاهروا بأنهم قد ذهبوا إليه ثم عادوا وشعرهم أطول من قبل، وبجانب الخناقة جدل هادئ - أو حاول الأب أن يجعله هادئاً - حول الرجولة وطول الشعر، وهل تتمركز رجولة الشاب

❖ تائه في لندن ❖

❖ ولد أم بنت ❖

في شعره أم تشيع في مختلف أنحاء جسمه، كل ذلك وشعر الأولاد لا يبرح يطول ويطول، يوما بعد يوم يتهدل على أكتافهم ويلخبط الكهل المسكين بينهم وبين أختهم بربارة، فأدرك الرجل أنه أضعف من أن يخوض معركة ضد روح العصر كله وانهمك في جريدته متظاهرا بأنه لا يلحظ شيئا غريبا، وزيادة في التمويه على نفسه لا يرفض بين الحين والحين أن يدفع لهم بضعة شلنات تفي بأجر الحلاق الوهمي! وحسبه على سبيل العزاء أن خوفه على مستقبل الأولاد كان في غير محله، وأن شعورهم المتهدلة على أوراق الأسئلة لم تمنعهم كما كان يتوقع من النجاح في الامتحان عاما بعد عام.

وفجأة نظر كل من الشابين إلى الآخر في حنان واذا بالشاب طويل الشعر يمد ذراعه لكي يحيط خصر صديقه، واذا به يطبق عليه بالشفقتين وهات يابوس! صدمة شديدة أصابتني بطبيعة الحال، إذ لم أكن أتخيل أن الأمور يمكن أن تصل إلى هذا الحد حتى بعد ما قرأت عن رفع التحريم عن الشذوذ الجنسي بين «الراشدين» من الانجليز! وبانتهاء القبلة (٣٣ ثانية) نطق ذو الشعر الطويل للمرة الأولى مخاطبا صديقه بقوله يامارى، فهل يمكن أن تكون الحال قد وصلت بهذا الولد إلى الدرجة التي تجعله يتخذ لنفسه اسم بنت؟

لكنه نطق فإذا له صوت ناعم رقيق، وبجولة متأنية في

❖ تائه في ناسن ❖

■ ولد أم بنت ■

تضاريس جسمه وراء العفريته الزرقاء - جولة بصرية طبعاً - تأكد
لى فعلاً أنه بنت لا ولد، أى أنه لا طول الشعر ولا نوع الملابس
أصبح يصلح هنا مقياساً للأنوثة والذكورة، ولو أن الأمور أطرقت
على هذا المنوال فلا أستبعد أن يأتى يوم تكون الطريقة الوحيدة
فيه لمعرفة جنس الكائن من دول هى أن تنتظر حتى يدخل الحمام
ثم تنظر إليه من ثقب الباب!

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

حبيسا في الفندق بسبب تلك الأمطار الوضيعة التي تنهمر منذ ساعات رحت أفكر في تلك الشعور المرسله التي أصبحت موضة شبه رسمية لشبان العالم الحديث.

ومن السهل أن تلخص المشكلة بأن تصف أولئك الشبان طوال الشعر بالميوعة أو بالرقاعة، الأمر الذي لو صح لوجب تعليق لافتة في مطار لندن تقول للقادمين مرحبا بكم في عاصمة الرقاعة، ولوزعت أكثر من نشرة سياحية تقول يارقعاء العالم اجتمعوا في لندن! ولكن الأمور لا تحل بهذه السهولة، وإذا كنا هنا نصف الشباب طويل الشعر بالرقاعة فذلك لأنه لا يعبر عن شيء سوى رغبته في التقليد الأعمى، أما اذا رأينا جيلا كاملا من الشباب الغربي يرسل شعره فجدير بنا أن نتردد قبل أن نستخدم تلك الكلمات الكبيرة العائمة عن الرقاعة والميوعة والتخنث إلى آخر ما في قاموسنا من الشتائم الخلقية، فليسوا رقعاء ولا مخنثين أولئك الآلاف من الشبان طوال الشعر الذين عرضوا أنفسهم لهرافات البوليس وغازه المسيل للدموع وهم يهاجمون السفارة الأمريكية وهيلتون لندن، ولا أقر أنهم الفرنسيون الذين نصبوا المتاريس في شوارع باريس واحتلوا السوربون في سبيل قضية

يؤمنون بها.

إنما هم يريدون أن يقولوا شيئاً بتلك الشعور الطويلة وتلك الملابس التى توقع اللبس بين الذكر والأنثى. هم يبحثون كما يخيل إلى عن مفهوم جديد للرجولة، كارهين أن تنحصر رجولة الرجل فى شعر يحلقه أو صديرى يزرره على صدره تحت جاكته كئيبه مخططة. ولعلهم كرهوا مفهوم الرجولة التقليدى كله وأرادوا أن يثبتوا أن شاباً طويل الشعر يحتج على حرب فيتنام أحسن وأرجل من رجل قصير الشعر يشعلها.

لو أوتوا البلاغة الكافية لاحتجوا بالكلمات، لكنهم فى زحام المشاعر المتلاطمة المنحشرة فى عنق الزجاجاة قنعوا مؤقتاً بالاحتجاج بالشعر الطويل والملبس الغريب. هم ينكرون مبادئنا كلها نحن الكهول، وما شعرنا القصير وثيابنا المهدمة إلا رمز لتلك المبادئ. فلو أننا كنا نطيل شعرنا - نحن أبناء الجيل القديم - لخلق أولئك الشبان رؤوسهم زلبطة! ولو كنا نلبس العفاريث والميكرو جيبات للبسوا السموكن شبانا والملس شبابات!

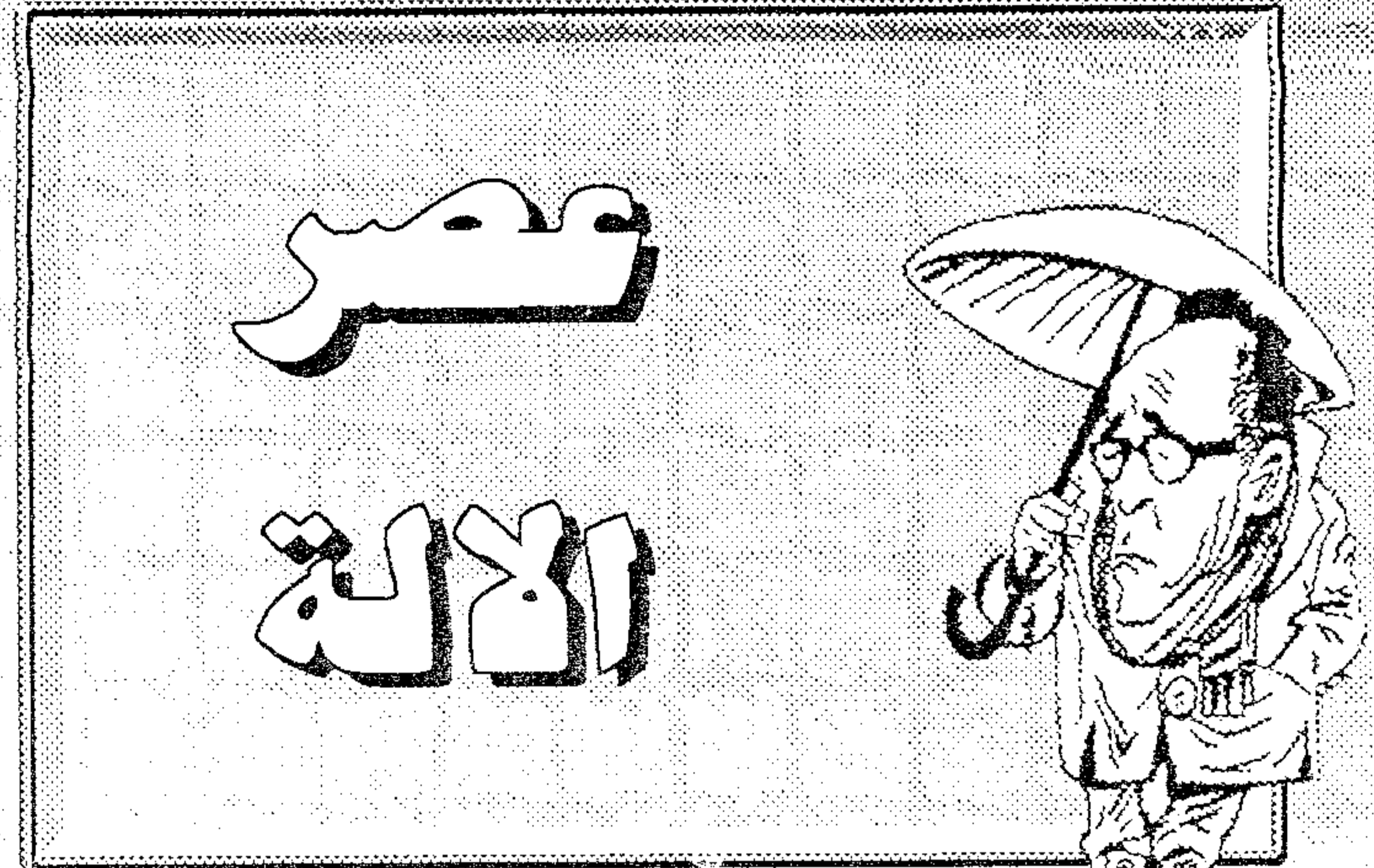
هم يحتقروننا ولهم والله عذرهم، بشعورنا الحليقة ورجولتنا المزورة نرسلهم إلى كافة بقاع الأرض ليقتلوا الناس وليموتوا، وشعارات كبيرة نردها على أسماعهم عن حقوق الانسان بدون تعريف دقيق لذلك الانسان، هل هو الرجل الكادح فى سبيل ساندويتش من الكلاب الساخنة أو الرجل البنكير الجالس

❖ تائه في لندن ❖

■ فلسفة الشعر ■

يحصى نقودا تفوح منها رائحة الدماء والبارود، ومعايد ندعوهم
إليها ليسمعوا صوت السماء، وما في سمائنا إلا طائفة من
الشياطين الذرية تعوى وتخفق ترانيم الملائكة.
فأرضنا في الحقيقة في حال من الفوضى التي تثير في النفس
كسلا شديدا عن التردد على صالون الحلاقة، ووالله لو عرفت -
أنا الكهل - أن شعري سوف يتهدل لو أرسلته لفلعتها من زمان
لكنتى أعرف أنه سوف يرتفع إلى أعلى ويتشابك ويتعقد حتى
يصبح رأسى مثل حقل من التين الشوكى، وبمثل هذا الشعر لن
يكون لى نفع كبير فى غير يوم يخطر لزوجتى فيه أن تزحف
السقف وتتلفت حولها باحثة عن رأس العبد فلا تجد سوى رأس
العبد لله.!

محمد عفيفي، تأثرت في لندن محمد عفيفي، تأثرت في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تأثرت في لندن محمد عفيفي، تأثرت في لندن محمد عفيفي

متعة ميكانيكية غامرة وأنا أدس نصف الكراون في ثقب الماكينة التي تباع السجائر، وبينما أستخرج العلبة من المكان المخصص أسمع شخلة لطيفة لعدد من البنسات تتساقط في مكان آخر، وهي الفكة التي حسبها الماكينة الضبيثة كحق تبقى أي من نصف الكراون! والتماسا لتلك المتعة الميكانيكية شربت أكثر من زجاجة كازوزة مع انتي لا أحب الكازوزة وأكلت أكثر من باكو شيكولاتة مع أنها توجع بطني، وذات مرة وضعت قطعة العملة المطلوبة في الثقب فإذا بها تنزل في الوعاء المخصص دون أن تقدم لي في مقابلها أي علبة، فالتقطت العملة وأودعتها في الثقب من جديد، وإذا بها تنزل لي في الوعاء المذكور مرة أخرى، كلما أودعتها نزلت لي وأنا لا أفهم لماذا يحدث ذلك، إلى أن ظهرت لي على لوحة خاصة كلمات كهربائية تقول لي: لا

بيع! أى أنها الماكينة - قد صبرت على كل ذلك الوقت منتظرة أن أياس
وانصرف فلما وجدتني لا أياس لم تجد مفرا من اخطارى بتلك
الكلمات أنها تعتذر عن البيع لسبب أو آخر!
فابتعدت عنها متلفتا حولى بالخجل المناسب من عباطتى، وحمدت
الله على أننى قد رأيت تلك الكلمات وامتنعت عن مواصلة ايداع
العملة ملحا فى طلب العلبة. فلا يستبعد لو اننى واصلت ازعاج
الماكينة بهذا الشكل أن تظهر لى على اللوحة كلمة تهزىء تزعجنى
بالرغم من أنها بالكهرباء!

فلست أدرى لماذا لا نستورد عندنا تلك الماكينات اللطيفة أو
نصنعها، فلاشك أن ماكينة من هذا النوع سوف تدخل البهجة إلى
أكثر من قلب مصرى. وبالنسبة للكازوزة أعتقد أن تلك المتعة
الأوتوماتيكية فى الحصول على الزجاجاة سوف تجعلك أقل انزعاجا
عند وصولك فى تجرعك للسائل إلى الصرصار الصغير السابح فيه.
نعم نحن فى حاجة إلى ذلك النوع من الماكينات فى هذا الوقت الذى
أكثرنا فيه من الحديث عن فنون التكنولوجيا.

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



مقاطع بيكاديلي

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

يخيل إليك أنهم قد خرجوا من صورة لسلفادور دالي، أولئك الشبان والشابات الذين يرابطون طول الوقت في ميدان بيكاديللي. حول العمود الذي يتوسط الميدان حاملا فوقه إيروس إله الحب، لامعا تحت الرذاذ المتساقط ومصوبا إلى الأبد سهمه إلى قلوب الناس. ليس أغرب من ألوان ثيابهم إلا تفصيلها، متهدلو الشعور طبعاً مع اضراب تام عن تمشيظها على سلام التمثال يترقصون أحياناً ويتقصصون، وأحياناً يتمددون على البلاط في حالة من النيرفانا الكاملة، وبنات تمد بوزها نحو صاحبها لتخطف منه قبلة لا يبدو أن أحداً منهما يريد، توطئة لأن تسرح في الوجود حولها بنظرة طويلة فارغة. وهم في كل ذلك لا ينزعجون من آلاف العيون التي تتركز عليهم من المارة طول الوقت، ولا من الكاميرات السياحية التي لا ترح تطرق حولهم وترسل صورهم إلى كافة أنحاء الأرض. ولرب شاب منهم يرى الكاميرا مصوبة إليه فيضع يداً على خصره وأخرى على رأسه ويتقصص مقلداً ممثلات السينما في أوضاع الاغراء. فهم سعداء فيما يبدو بهذا الاهتمام العالمي، ولو أن الناس انصرفوا عنهم واهملوا أمرهم لتنهذوا في يأس وعادوا إلى بيوتهم.

أكثر من مرة خطر لي أن أقترب منهم واستفسر عن فلسفتهم في الحياة إن كانت لهم فلسفة، ولكن منظرهم العام أوجى لي بأن المسأله غير مأمونة العواقب، وأن محاورة طويلة بيننا قد تختتم في قس

❖ تائه في ناس ❖

❖ مقاطع بيكاديللي ❖

الشرطة، وأنت تعرف نفوري من تلك المؤسسات حتى لو كانت في بيكاديللي، ولذلك اكتفيت بالسؤال عن أمرهم، وخرجت بعدد من الاجابات المعنة في تناقضاتها.

فهناك رأى يقول بأنهم لا يخرجون عن كونهم شرذمة من العاطلين والصيغ والمقاطيع ومدمنى المخدرات، وأنهم ما كانوا لينجدروا إلى هذه الصورة المزرية لولا حكومة متساهلة تشجع الناس على الانحلال باسم الحرية الفردية.

وهناك رأى آخر يرد إليهم شيئاً من الكرامة، قائلاً إنهم يمثلون نوعاً من الأحياء لفلسفة الكلبيين الاغريق الذين ارتأوا أن ذروة الخير والسعادة هي أن تعيش كما تعيش كلاب الطريق. وهم قد بدأوا تطبيق هذه الفلسفة بتلك الملابس الغريبة التي تؤكد ثورتهم على كافة الرسميات التي تثقل كاهل الرجل العادي. أما عن العمل فلماذا يعملون في سبيل أن يربح سلفردج، ولماذا يكسبون اذا كان معظم كسبهم سيضيع في الضرائب التي تذهب إلى جيوب تجار السلاح؟

فهم وفقاً لهذه النظرة يعبرون عن احساس الضياع الذي يساور كافة أبناء القرن العشرين، ويرمزون إلى فشل نظام كامل في الاجتماع والاقتصاد والأخلاقيات، عماراته الشاهقة لا تبنى إلا لكي يقفز من فوقها الفقراء والمحرومون، والحب فيه لم يعد أكثر من تمثال من المعدن البارد الأصم!

محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي

مارا في الطريق بقبلة أطول من اللازم وفقا لمقاييس عصر السرعة، بين فتاة وشاب لا يمكن أن يكون حلق شعره منذ سنتين، رأيت على الحائط اعلانا عن عرض دولي للسقربتيز في المكان الفلاني من حي سوهو، الأمر الذي دفعني - على سبيل رد الفعل المنعكس البسيط - إلى أن أمد يدي إلى جيبى لأخرج الخريطة. صحيح أن موضوعات المينى والميكرو لم تترك داعيا لهذا النوع من الفضول التشريحي - وخاصة اذا أخذنا في اعتبارنا تدخل النسومات التحتية العابثة بين حين وآخر - ولكنك تعرف أن شيئا لا يملأ عين ابن آدم إلا التراب. فبينما أنا أتفحص الخريطة معتمدا على نهر التايمز كفاصل بين جنوب لندن وشمالها، فوجئت بالمساحة الزرقاء التي تمثل النهر وقد تحولت إلى مجرى مياه حقيقي لا جغرافى، بسبب الأمطار اللعينة

التي بدأت تتساقط فجأة على الخريطة وعلى! فأدركت أنني في سعيي إلى العنوان المطلوب لن أصل إليه إلا وأنا في حال من البلل تجعلني أحوج من عارضات الستربتيز إلى خلع ثيابي.

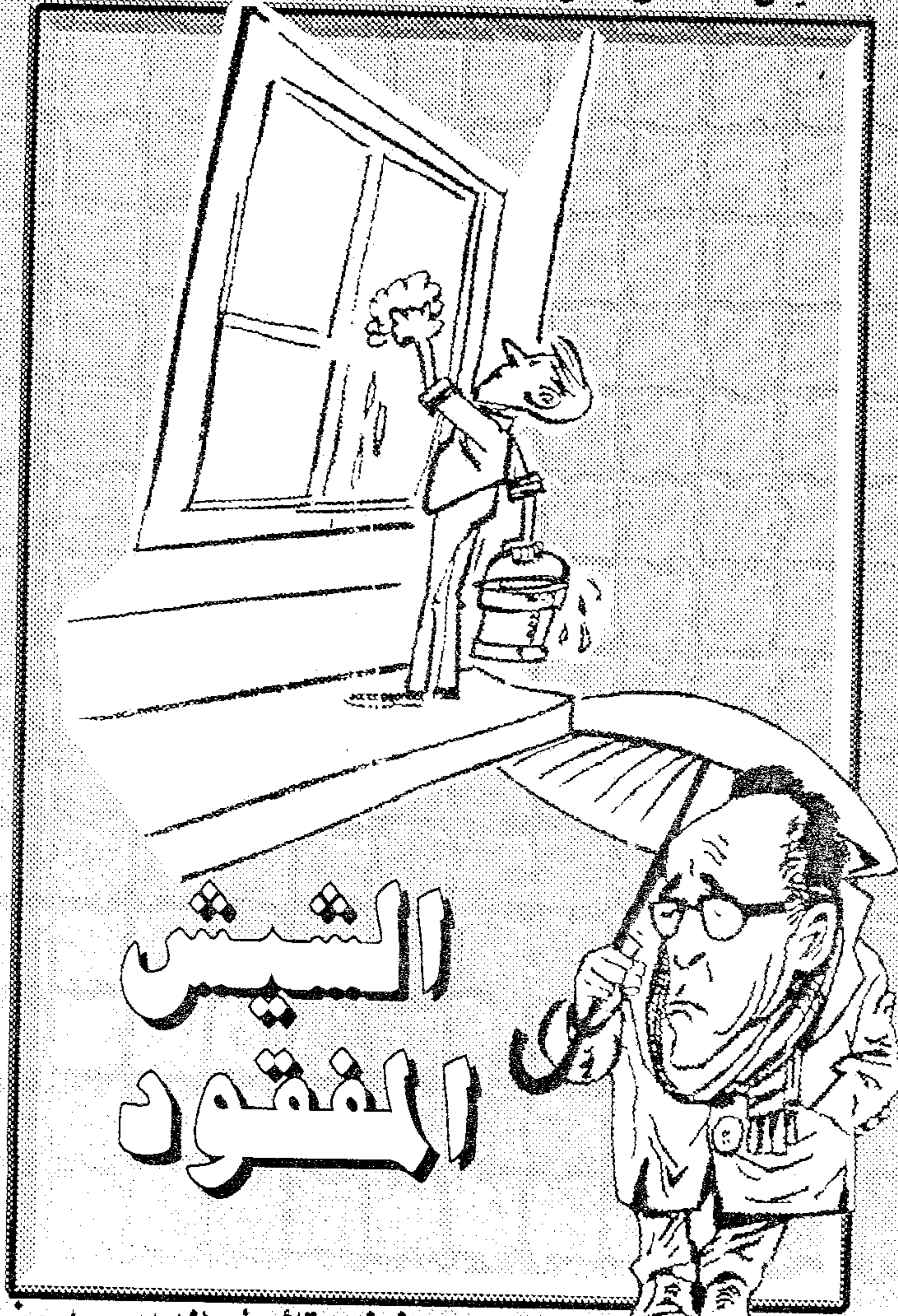
فتنهدت ورددت الخريطة إلى جيبي، ورافعا المظلة المنحطة فوق رأسي سرت أغالب الغيظ بالتفكير في نظريتي السيكوطقسية الخاصة بمنشأ الامبراطورية البريطانية، قائلا لنفسي أنه ما من رجل انجليزي كان يفكر في تكوين تلك الامبراطورية لو أتاح له جو بلاده التعس أن يخلع ثيابه لغرض ما غير تجفيفها!

وعلى أي حال ما أظنني كنت أستفيد كثيرا من فرجتي على الأنسة (حلو الأنسة دي؟) المتجردة، فالنساء كلهن سواء حين يتجردن. ولعلهن ما اخترعن حيلة الثياب إلا لايقاع الذكر في ذلك الوهم الخاطيء، أن هناك فرقا كبيرا بين فاطمة وماري، أو بين عيوشة ومونيك!

❖ تائه في لندن ❖

■ الشيخ المفقود ■

محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي

■ قطاع الثقافة ■

الأمطار السافلة تضرب زجاج نافذتى بغير رحمة، ونافذتى كما أسلفنا غير ذات شيش. مجرد زجاج يرتفع وينخفض وستارة من الكريتون تحجب منظرى عن الآخرىن اذا لم أكن ذا ميول استعراضية. ولذلك خطرت لى فى اليوم الأول من وصولى أن أنتقل إلى فندق آخر، لم يمنعنى من ذلك إلا ما تبينته فى اليوم التالى من أن كل النوافذ فى كل البيوت فى لندن غير ذات شيش فيبدو أن الشيش بالنسبة لنوافذ العمارة مثل البواب بالنسبة للعمارة نفسها - نوع من الترف الذى لاتقدر عليه غير الدول النامية! وربما كان ذلك بسبب أن الشيش شىء صنعه أهل المناطق الحارة لى يتقوا به شر شمسهم المحرقة، الأمر الذى يكذبه ما رأيتة فى كثير من الأفلام من نوافذ فى المكسيك والبرازيل غير ذات شيش. فيبدو أن الشيش شىء لا علاقة له بالجو بقدر ماله من علاقة بالحجاب، وانه اختراع خاص بالبيوت التى يكره صاحبها أن تقع نظرة من الجيران على الاناث من أهل بيته.

فالستارة مهما كانت ثقيلة قد تنجح حين تنفرج - لهذا السبب أو اك - فى فضح خصلة من شعر الزوجة أو البنت، أو قطاعا من كتفها، أيمن اذا تصادف أن كانت فى قميص النوم، حتى اذا كانت ستارة صرية من سيور البلاستيك، أما الشيش الخشبى فهو لا يفتح إلا

بفعل فاعل أو فاعلة، وليس ثمة رجل شرقي يعتقد أن زوجته أو ابنته يمكن أن تفعل أمرا كهذا - وذلك طبعاً ما عدا الرجل الذي قام باختراع الشيش!

وشاب تهجم على حجرتي بالفندق ذات صباح، وبدون احم ولا دستور توجه إلى النافذة فرفع زجاجها وخرج منها. وظننت بالطبع انه انسان تعس طرد من عمله أو خانته زوجته مع أعز أصدقائه فقرر أن ينتحر مختاراً نافذتي بالذات لكي يثير الريب حولي لغرض في نفسه. لكن الله قدر ولطف وتبين أنه لا يريد أن ينتحر بل أن يشتغل اذ اكتفى بالتشعلق في النافذة من الخارج مع اخراج خرقة ينظف بها الزجاج ويلمعه، كارها فيما يبدو أن أنظر من خلال الزجاج القائم فتفوتني احدى التفاصيل المهمة في الشارع اللندني.

فالنافذة الزجاجية وفقا لهذا الوصف قد أفادت بعض الناس بخلق أعمال خاصة لهم، وربما كانت قد أفادتني أنا صاحب النافذة وخاصة في ذلك الصباح الذي صحوت فيه وأنا في حجرة تحت الأرض.

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

لأسباب أعتقد أنها تهمل - وهذا مبرر كاف لأن أخفيها عنك! - وجدت نفسي ذات ليلة - وللمرة الأولى في حياتي - نزيل تلك الحجرة في البدروم والذي يشرف من تحت إلى فوق على الشارع اللندني، ومن الثامنة إلى التاسعة صباحا - موعد ذهاب الناس إلى العمل - جلست أستمتع بالبانوراما المتحركة أمامي، تلك البانوراما التي يمكنك أن تتصور بهجتها في عصر الميني والميكرو! فبينما أنا أحلق إلى تلك التسالي من خلال القضبان الحديدية للنافذة وجدت شيئا من الصعوبة في منع نفسي من أن أضحك لوحدي كالعبيط، متذكرا ما يشكو منه سكان البدرومات الانجليزية من النظرات المتطفلة لما يسمونه «توم البصاص»، ذلك الشاب الذي يتعمد التلصص بالنظر إلى مجريات الأمور في تلك الحجرات الواطئة،

■ نوع من القطط ■

■ تائه في لندن ■

خصوصا عندما يحل من الظلام ما يخفيه عن العيون وما يهيب
لسكان الحجرة أنه يخفيهم. اذ كنت أنا - فى وقتى تلك أنظر إلى
مواكب المينى جوب العابرة - أول توم يتبصص على الناس من الداخل
إلى الخارج!

لكن ذلك الموكب البشرى ما لبث أن هدأ بذهاب الناس إلى أعمالهم،
ومن خلال القضبان الحديدية قابلتني عينا خضراوان براقتان، فى
وجه مستدير لقطة بريطانية تقف على رصيف الشارع، كثيفة الشعر
نافشة الذيل منغبشة اللون ملاحظة بشدة، قلت لها بسبس فأجابتنى
من حيث وقفت على الرصيف قائلة نو، الأمر الذى طمأننى إلى أن لغة
القطط فى لندن هى نفس لغتها فى القاهرة، وأنه بالرغم من اللكنة
الخفيفة التى تشوب نونوة هذه القطة فلن يكون عسيرا على أن أتفاهم
معها، ولربما كان تفاهمى لمعها أيسر من تفاهمى مع أصحابها الذين
لا أفهم - بالرغم من اجادتى التامة للغتهم المكتوبة - شيئا مما يقولون.
وقفزة رشيقة نقلت القطة من الرصيف إلى حافة النافذة، تمسحت
بجنبها لحظة فى أحد القضبان، ثم وثبت إلى أرض الحجرة تتشمم
الدنيا حولها، رافعة فى خلال تجوالها ذنبها النافش الذى قال لى
إنها ليست قطة وإنما قطة!

- ناوا!

هكذا قال ضيفى وهو يرفع نحوى نظرة خضراء مناشدة، فتذكرت
علبة الفراخ المحفوظة التى كنت قد اشتريتها لزوم الغداء بكذا شلن
وسنت. ومن العلبة أخرجت قطعة نسيرة وضعتها له على الأرض فوق
ورقة من الملحق الاقتصادى لجريدة التايمز، حيث إنه من المستبعد أن
تكون هناك فائدة كبيرة لذلك الملحق بالنسبة لرجل يسكن تحت

تأه في لندن

■ نوع من القطط ■

مستوى التيمز. (لاحظ الفرق بين التيمز والتيمز لكيلا تتورط كعادتك في ذلك الخلط المضحك بين الكلمتين).

في وقار لا لزوم له في ذلك الموقف تقدم القط من قطعة الفراخ، تشممها لحظة بأنفه السكسوني الحساس ثم رفع بصره نحوى قائلاً: ناو، الأمر الذي فهمت منه أنه إما يشك في الدوافع الكامنة وراء هذا الكرم غير المتوقع من ناحيتي، وإما - وهذا مستبعد طبعاً - لا يحب الفراخ.

- ماذا تعنى بقولك ناو؟ لماذا لا تأكل؟

هكذا سألته بلغته الانجليزية فلم يزد على قوله ناو، وكان في لهجته هذه المرة نبرة عتاب لم أفهم لها سبباً. ثم أدنى أنفه من النسيرة وشمها من جديد، وبهيئة من يقبل على مغامرة خطيرة قضم منها بأسنانه فتفوتة صغيرة، ولاكها حيناً في فمه ثم ابتلعها بصعوبة، متوجساً في أغلب الظن من أن أكون قد دسست له السم في الطعام في ذات نزوة وطنية رسبت في نفسى من أيام الاحتلال.

- كل ما تخافش! كل! اطفح!

فقضم فتفوتة أخرى، وهذه لم يبتلعها بل بصقها، وهز رأسه بقوة لكي يطرد جزءاً منها علق بشعرة من شاربه. ثم رفع يده إلى فمه وحكه لكي يزيل عنه كافة الآثار، وابتعد عن المكان كله وهو يجعر قائلاً ناو! فهو اذن - قطعاً وجزماً - لا يحب الفراخ أو على الأقل لا يحب الفراخ المعلبة، وإذا كان قد أكل تلك الفتفوتة فما ذلك إلا على سبيل جبران خاطر ورغبة من ناحيته في ألا يكسفننى.

وبناو أخرى توديعية قفز إلى حافة النافذة ومنها إلى الرصيف، وابتعد وهو لا يزال يهز رأسه لكي يطرد عن شاربه - وعن ذاكرته

■ نوع من القطط ■

■ تائه في لندن ■

أيضا - كل ما تبقى من آثار الفراخ التي سوف أتغدى بها أنا، ولعله وهو يفعل ذلك ترحم على الأيام الحلوة القديمة حين كانت الفراخ فراخا، وتصعب في حسرة على هذا التدهور المتواصل في المستوى السياحي.

فراقبته يبتعد وأنا أتصعب بدوري أسفا على هذا الترفه - المرضى بغير شك - الذي وصل إليه القط البريطاني، وهو بالطبع مسئولية التاجر البريطاني الجشع، الذي في تصيده للشلنات والبنسات بكافة الطرق عمد إلى تلك الحيلة الدنيئة التي رأيتها على أحد الرفوف في أحد محلات البقالة، ممثلة في علبة تحتوي على غذاء خاص للقطط مكون كما تقول العلبة من توليفة نادرة من شحم الخنزير ولحم الدجاج المفروم. فلماذا والحال كذلك لا يعزف القط الانجليزي الوغد عن الغدوة التي كنت أنا أعتبرها نوعا من الرفاهية حيث أقيم تحت الأرض؟

فلففت النسيرة في الملحق الاقتصادي وألقيت بالاثنين في صندوق الزبالة، قائلًا لنفسى إنه ليس من الغريب أن يصل القط الانجليزي إلى هذا الحال بعد قرنين من الزمان قضاهما الرجل الانجليزي في عض عباد الله وخربشتهم في أربعة أركان الأرض. وعلى أى حال فالحمد لله على اننى فى لندن لا فى نيويورك، فعند المقارنة بين درجات الثراء ما أظننى كنت أنجح فى استمالة أى قط هناك ما لم أعزمه على الغداء فى هيلتون!

محمد عفيفي، تأثنه في لندن محمد عفيفي، تأثنه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تأثنه في لندن محمد عفيفي، تأثنه في لندن محمد عفيفي

وحمام لندن لا يقل فيما يبدو أطلاة وتبطرا عن ققطها، وخذ مثلا تلك الحمامة التي سارت على الرصيف أمامي حيث جلست مرة أخرى على الدكة بالقرب من الكنيسة. سائرة بتلك الطمأنينة التي تميز حمام لندن تقدمت مني، وذكرت أن في جيبى فزديقة تبقت هناك من أيام الكويت فأخرجتها وقشرتها وألقيت لها بها، تشممتها في ارتياب ثم تركتها وابتعدت مرفوعة الرأس في كبرياء. أى أنه حتى الفزدق الذى احتجت في سبيل أكله إلى أن أسافر إلى الكويت قد صار هو الآخر - مثل نسيرة الفراخ - من الأشياء التي تزديها حيوانات لندن المتعنظة.

وبالنسبة لهذا الحمام المتفشى في لندن أعجب لماذا يرفض الانجليز - وأهل الغرب عامة - أكل الحمام باعتباره لونا همجيا من الوحشية،

■ الحمام المقدس ■

■ تائه في لندن ■

فما الفرق بين حمامة أذبحها وبين دجاجة مما يذبحون، أو ديك رومي بمناسبة عيد الميلاد، أو ثور عظيم لزوم تعبئته في العلب؟ لا فرق بالطبع، ولو أن كل هذا الحمام عندنا في شوارع القاهرة لامتلأ فريزر ثلاثي إلى حد الانفجار، ولأريقت أنهار من السمن لزوم الحشو والتحمير! لكن الحكاية إذا وصلت إلى طقوس الغذاء فيبدو أن الشيء الوحيد الذي يجب وضعه في الفريزر هو المنطق! فأنا وأنت لا تأكل الضفادع التي يموت فيها الفرنسيون، وهامم الانجليز يأكلون الخنزير ويرفضون أكل الحمام، ورب رجل هندي يسقط على أرض بيهار من فرط الجوع ليلفظ روحه شيئاً فشيئاً وغير بعيد منه بقرة ملاحظة تتبختر في خيلاء ويكاد شحمها من فرط سمنتها يبظ من خلال جلدها المقدس!

محمد عفيفى ، تأهه فى لندن محمد عفيفى ، تأهه فى لندن محمد عفيفى

إتفضل

معانا



محمد عفيفى ، تأهه فى لندن محمد عفيفى ، تأهه فى لندن محمد عفيفى

فلعله يهملك أن تعلم أن غذائى الرئيس كان يقوم على المعلبات، دعك من المرات التى قلدت فيها صعاليك الانجليز بأكل السمك والتشيبس. فأنت تعرف صعوبة الحصول على العملة الصعبة بالنسبة لرجل مغترب، وخاصة بالنسبة لرجل يعانى - وهو غير مغترب - كل ما تعرفه من الصعوبة فى الحصول على العملة السهلة!

والمعلبات فى لندن و فى كل بلاد الغرب شىء يوجد فى كافة محلات البقالة من الأرض إلى السقف، مئات من الرفوف التى تحمل آلاف من العلب التى تحوى كل ما يخطر على بالك من أنواع اللحوم والطيور والأسماك والخضر والفاكهة. فهى شىء لا غنى عنه لأولئك الناس الذين يعرفون قيمة الوقت، والذين ما كانوا لينجزوا كل ما أنجزوا لو أن ربة البيت تضيع سحابة اليوم فى خرط البصل وعصر

■ إتفضل معانا ■

■ تائه في لندن ■

الطماطم وخطم الثقلية وتسبيك الأكل على النار، وكل ذلك تمهيد لما
يضيع من وقت الأفندي في التهام الوجبة المسبكة توطئة لأن يرتقى
على الفراش ساعتين لزوم الهضم!
إنه لمنظر ممتع حقاً، منظر الإناث وهن يتجولن بين الرفوف دافعات
أمامهن تلك العربات الصغيرة التي لا بد أنك رأيتها في السينما،
يحملنها بكل ما لذ وطاب من تموين البيت. فلشد ما تمنيت أن أحذو
حذوهن بدفع إحدى تلك العربات، ولكن منظري بغير شك سوف يكون
شديد العباطة عند مقارنة ما في عربتي - وفقاً لامكانياتي - مع ما في
سائر العربات.

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

نعم هناك شيء غريب في عيون أنثى الغرب، هكذا قلت لنفسى من جديد حيث جلست أتفحص ذلك الزوج الجديد من العيون الزرق - أو قل هو شيء مختلف عن العيون الشرقية - ولذلك بدا غريبا لذكر شرقى مثلى.

قلت قبل ذلك إنه نوع من الجرأة والاقترام وكنت فيما أظن صادقا، ولكن المسألة ليست بهذه السهولة. فهذه الجرأة ليست إلا نتيجة لسبب آخر، وذلك السبب هو الذى يجب أن أتوصل إليه لكى أهتدى إلى سر ذلك الشيء الغريب أو المختلف فى العيون الحرة الزرقاء.

ومرة أخرى أغض البصر مخافة أن تظن البنت بى الظنون، فيقع - بصرى - على الفخذين الجريئين فى الميكرو جوب الصفيق. فبينما أنا أتأمل الموقف هناك بعين الدارس المتأنى، ناهلا من تلك النكهة الحارقة

■ هل هي أنثى ■

■ تائهة في لندن ■

للأنوثة البيضاء الصارخة، ومضت الفكرة في دماغى مثل وميض الشهاب، ورددت البصر إلى العيون الجريئة الزرقاء لكى أرى فيهما السر الغريب وقد كتب هناك بحروف من النيون الساطع: أن الحكاية بمنتهى الاختصار أن هذه البنت المسكينة عارية الساقين ليس عندها أى ذرة من الشعور بأنوثتها!

تلك النظرات الجريئة المقتحمة ليست نظرات بنت وإنما نظرات ولد، أو قل نظرات كائن نسي من زمان إن كان بنتا أو لداً، نهائياً نسيته أنثى الغرب أنها أنثى، بعد عديد من مراحل التطور التى أزالته من روحها كل شعور بأنها تختلف فى أى شىء مختلف عن الرجل. فلعلها ما لبست هذا الثوب - أو على الأصح خلعتة! - إلا خوفاً من أن أتردى بدورى - أنا الذكر البشرى - فى تلك الهاوية من نسيان حقيقة أنوثتها!

وتلك الجرأة البصرية ليست إلا أحد مقومات ما أميل إلى تسميته بالحرية الحركية العامة التى تميز أنثى الغرب عن أنثى الشرق. فلا بد أنك لاحظت تلك الجلسة العاقلة الملمومة للأنثى الشرقية، مع وضع ثابت معلوم لكل عضو من أعضائها، كل حركة من حركتها بأناة ورزاقنة وحساب حتى لا تخرج عن المفهوم العام للحشمة الجديرة بالأنثى. فهى أنثى قبل أن تكون انساناً، ولربما خالط شعورها بأنوثتها شعور بالنقص لذلك السبب، واحساس بفكرة «العورة» يشيع فى كل كيانها. كأنما كان الله تعالى يريد أن يعاقبها حين رفض أن يخلقها رجلاً، وحين أرسلها فى تلك الصورة الناقصة لكى تسير إلى الأبد فى دروب الحياة محمرة الوجه مطرقة الرأس وسط آلاف العيون الساخرة أحياناً والزانية دائماً!

❖ تائه في لندن ❖

■ هل هي أنثى ■

كل ذلك تخصصت منه الأنثى الغربية تماما، ومن كافة الطقوس الحركية التي تفرضها سائر المجتمعات على أنثى البشر. وهو بغير شك كسب كبير لها، ذلك الشعور الجديد بإنسانيتها من قبل أنوثتها، وتلك الشخصية العريضة المنطلقة مثل شخصية الرجل. وهو في الوقت نفسه كسب للأطفال الذين تشرف على تربيتهم، والذين يتشربون يوما بعد يوم بتلك الشخصية العريضة المتفتحة. لكنني أتردد كثيرا قبل أن أقول إنه كسب للرجل الغربي، الذي لا أشك في أنه يحتاج إلى قدر كبير من النبش المجهد في طبقات إنسانيتها الكثيفة قبل أن يصل إلى الأنثى الرابضة في أعماقها!

تأه في لندن

الشحاذ الصغير

محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي

ولد صغير تقدم نحوى ذات يوم فى الطريق الهادىء وقال بلهجة
أمرءة!

- ادينى ستة بنس!

فخيل إلى مدى لحظة - بسبب تلك اللهجة الأمرءة - أنه أحد قطاع
الطرق، وأن يده المدسوسة فى جيبه تقبض على زناد مسدس، ولكننى
ما لبثت بالطبع أن استبعدت تلك الفكرة استنادا إلى أنه من غير
الممكن أن يبدأ قطع الطرق فى تلك السن المبكرة حتى اذا كان القاطع
انجليزيا، ولا هو شحاذ بدليل ملابسه النظيفة الغالية - أعلى من
ملابسى أنا على الأقل، فهو لا يخرج عن كونه طفلا شقيا بدد
مصروفه فى الهلس ويعرف أن أمه سوف ترفض أن تعطيه مصروفا
آخر.

تائه في لندن ❖

الشحاذ الصغير ■

من المحتمل طبعاً أن يكون قد فقس بغريزته الصببانية الحادة جنسيتى العربية ومن ثم أراد أن ينتفع بما يمكن أن يكون قد قرأ هنا وهناك عما يتصف به العرب من الكرم والمروءة. واحتمال آخر هو الأقرب إلى الصحة، وهو أن العملة المعدنية كانت تشغل فى جيب البنطلون بشكل لافت للنظر حقاً، الأمر الذى أوحى إلى الولد بثرائى غير عالم أن ثروتى كلها فكة!

- عاوز ايه؟

هكذا سألته لى أكتسب بعض الوقت قبل أن أبت فى الطلب.

- ستة بس!

هكذا أعاد الولد طلبه بنفس اللهجة الأمرة فقلت له:

- تعمل بيها ايه؟

فرمقنى فى استهجان شديد لهذا الغباء الشرقى الذى يجعلنى

أسأل مثل هذا السؤال وقال ما معناه:

- سبحان الله.. أصرفها!

لكنى لم أكن لأنهزم بهذه السهولة.

- تصرفها فى إيه؟

- فى أى حاجة؟

وهذا شىء طبيعى جداً، فما المانع من الفنجرة مادامت من جيبى؟

وعلى أى حال فقد دسست يدي فى جيبى وفى نيتى أن ألبى طلبه

ولكننى ما برحت أن أمسكت بشىء فى داخلى قال لى إننى لا يجوز

أن أشجع هذا الولد اللطيف على أن يصبح شحاذاً، وأنه من الأجدى

له أن يعرف أن الفلوس لا تكسب بهذه السهولة.

صحيح أنه قد يكون سليلاً لحدى الأسرات الاستعمارية، وأن جده

تأه في لندن

الشحاذ الصغير

الأكبر ربما كان جاويشا أو ضابطا بين القوات البريطانية التي هزمت أحمد عرابي، ولكنني لا يمكن أن أحمل الولد أخطاء جده وأن أحوله إلى شحاذ لهذه الاعتبارات التاريخية.

وفي الوقت نفسه - إذ أنا امتنعت عن الدفع للولد - أأست بذلك أكون مسئولا عن الاساءة - وعلى المستوى الدولي - لسمعة الكرم العربي؟ فهو - كما ترى - واحد من المواقف النادرة التي يحتاج المرء فيها إلى حنكة بالغة لكي يعرف أين تكمن الفضيلة.

ولكن وقت الولد فيما يبدو كان أضيق من أن يتسع لكل ذلك الجدل الأخلاقي فقال لي في صبر نافذ:

- ح تجيب ولا لأ؟!

فرحت حينما أعابث العملات المعدنية في جيبى توطئة لأن أتوصل إلى ما خيل إلى في تلك اللحظة أنه القرار الحكيم: أخرجت كبشة العملات من جيبى وانتقيت له بعضها قائلا:
- كفاية عليك ثلاثة بنس!



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

وعينان خضراوان مثل معظم عيون الإناث في لندن، في وجه أبيض
وسط شعر أصفر مثل معظم الوجوه والشعور هناك، ومع ذلك خيل
إلى اننى أرى فيهما شيئا مختلفا عما أرى في عيون سائر الإناث.
فهذه الأنثى على غير المألوف رقيقة النظرات عذبتها، تنظر إلى الدنيا
بدون أن تزغر لها، ولمسة خفيفة من التهيب لما حولها من الناس في
عربة المترو. فإذا التقيت هنا أو هناك فهي تلتفت ببطء وأناة، لحظة
عابرة، يستقر بصرها على الشيء ثم يرتد عنه بسرعة، شاعرة لسبب
ما أنه ليس من حقها إطالة النظر إلى الأشياء، إذا افترضنا أن لها
حق النظر أصلا، إذا كانت انجليزية أو أوروبية عموما فلا بد أنها قد
واجهت في طفولتها قدرا أكبر من المألوف من الكبت، الأمر الذي
يوحي بأن أباه أو أمها - أو كليهما - من غلاة المحافظين أو حتى من

❖ تائه في لندن ❖

■ عيون خائفة ■

المتطهرين. وبدأ القطار يهدىء من سرعته ونهض من الناس من ينوى
النزول في المحطة التالية، وبينهم شاب أسمر شرقي السمات مد يدا
ربت بها على كتف الفتاة لينبها إلى ضرورة النهوض قائلاً بالعربية:
- يا الله يا فاطمة!

تأه في لندن

عبادة الشمس

محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي

شيء أصفر اللون تسلل من النافذة فجأة وانفرش على أرض
الحجرة، احتجت إلى نحو من دقيقة كاملة لكي أعرف ماذا يكون -
فالمرء في لندن يحتاج إلى ذاكرة أقوى من المعتاد لكي يعرف ضوء
الشمس حين يراه !

أخيرا زالت الغيوم ونظرت فوقى إلى سماء زرقاء صافية ، أنا الذي
كدت أنسى نهائيا أنني عضو في المجموعة الشمسية! فاندفعت إلى
الطريق كالمجنون، ما منعتني من أن أرقص واتنطط إلا خوفا على
سمعتي كصحفي ومصري، فاكتفيت بأن رفعت كفى إلى وجهي
أدعكه بهما لكي أغسله بهذا الفيض المفاجيء من الدفء الالهي، مثل
رجل يمسح وجهه بالدعوات في نهاية الصلاة.

وحانت منى لفتة إلى حديقة بيت أمر به فرأيت على رقعة الحشائش

■ عبادة الشمس ■

■ تائه في لندن ■

الخصراء ما خيل إلى بالنظرة الأولى أنه أنثى عارية وما تبين لي بالنظرة الثانية (٥٠ ثانية) أنها أنثى عارية فعلا إلا من المايوه. هناك تستلقى كالقتيلة على العشب الأخضر، عاجية اللون عطشى منذ أسابيع لتلك القبلة الشمسية الدافئة.

نعم هي بردانة مسكينة، فرحت بالشمس فتجردت من ثيابها لتشرب منها كل خلية في جسمها الثلج. شأنها شأن عشرات البنات والصبيان الذين ملطوا في الحدائق الخاصة أو العامة، وعلى الحشائش تمددوا وركعوا في صلاة صامتة للشمس التي طلعت، مئات من البقع البيضاء على الحشائش الخضراء، متمرغة في الضوء متنعمة سعيدة، لو رأها أختاتون لظن أن ديانتهم قد عادت إلى الحياة. ألا ما أتعس أولئك الأوروبيين الذين يفرحون كل هذه الفرحة بساعة شمس عابرة! وما أتعس تجار الأقمشة والملابس لو أن أولئك الأوروبيين هم الذين يعيشون على ضفاف النيل تحت شمسهم المشرقة أبدا!

ومهما كان من أمر فأنا واثق من صحة تلك النظرية السيكوطقسية في تفسير نشوء الامبراطورية. فلست أشك في أن الانجليز ماكانوا ليفكروا في هجر بلادهم لولا جوههم اللعين، ولكانوا أكسل من أن يصنعوا الأساطيل التي يسرقون بها الأراضي المشمسة.

تأه في لندن

في ركن الخطباء

محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي

في ركن الخطباء



محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي

وفي الشمس التي أشرقت وجدتني أقترب من ذلك الركن الشهير
في هايد بارك ويسمى بركن الخطباء، حيث يقف بعض المعتوهين على
سناديق من الخشب لكي يعبروا عن أنفسهم في مختلف القضايا
الدينية والسياسية، فاشلين غالبا في إثبات آرائهم وناجحين دائما في
استثارة سخرية الناس منهم، فليس من الحكمة أن تقف لكي تدافع
عن الكاثوليكية ضد البروتستانتية وسط مجموعة من الناس أوشكت
أن تكف عن الاهتمام بأي من المذهبين، وليست هناك أية مناسبة لأن
تضيع يوما كاملا في الحديث عن بشاعة الحرب الذرية مستخدما
نفس الأسانيد التي قرأها مستمعوك في جريدة الصباح، أما إذا
خلعت فانلتك عن جسم مغطى بأنواع مختلفة من الوشم الأزرق
والأخضر فلا أظنك ستظفر من المجتمعين حولك بأكثر من شعور

بالأسف على أنهم لم يذهبوا إلى حديقة الحيوان.
معظم أولئك «الخطباء» ليسوا أكثر من نفوس حائرة تعسة ضلت طريقها إلى العيادة النفسية، ووجدت فى هايد بارك مكانا تتنفس فيه تحت حماية القانون عما يعتمل فى صدرها المكروب. فلاشك أن «أعقل» أولئك الخطباء هى تلك السيدة البدينة التى تجلس وفى يدها عصا تقرع بها صفيحة قديمة فارغة، وتتشد على الايقاع وبصوت مضحك أغانى قديمة يرددها بعض المتفرجين على سبيل المجاملة. فهو وفقا لذلك - ركن الخطباء بهايد بارك - نوع من العيادة النفسية التى يقوم فيها المجتمع كله بدور الطبيب لتلك النفوس الحائرة، ومن الإنصاف أن نقول إن ذلك المجتمع قد نجح حقا فى تقمص دور الطبيب، الذى يستمع فى صبر لهلوسة المريض ولا يعمد إلى التريقة عليه فى نزوات السخرية المتباعدة بأكثر من سبقه إلى إكمال جملة له يكون قد سمعها منها فى أيام الأحاد السابقة!



محمد عيسى، تائه في لندن، محمد عفيفي، تائه في لندن، محمد عفيفي

أنغام لا تخلو من الطرب تنبعث من ثنائى الماندولين والأوكورديون،
على ايقاع من رنين البنسات البرونزية التى لا تبرح تتساقط من أيدي
المارة فى تلك الزكية الصغيرة العتيقة، المتدلية من رقبة الماندولين
الذى يحتضنه الانجليزى العجوز ذو الساق الواحدة!
على الرصيف المزدحم من شارع أوكسفورد، أمام محل سلفردج
الذى هو واحد من أكبر المحلات التجارية فى العالم كله، والذى بيع
فى العهد الأخير فى مقابل ذلك المبلغ الصغير المموم: ٥٧ مليوناً من
الجنيهات!

كان فى إمكان ذلك الشحاذ الأعرج أن يقبع فى منزله ويعتمد على
الاعانة التى تصرفها الحكومة للعاجزين أمثاله، لكنه فيما يبدو يفضل
أن يكسب عيشه فى الهواء الطلق ويلمسة من الفن. إنما أعجب من أن

❖ تائه في لندن ❖

■ الشحاذة كفن جميل ■

البوليس لا يتعرض له أو لزميله، ومن أن الحكومة لا ترى فيه شيئاً
يتعارض مع كرامة لندن السياحية، وكأنها تقول للسياح: تلك هي
لندن عاجبكم ولا لأ؟!!

وهذان الشحاذان الموسيقيان بالذات محط أنظار كافة السياح في
شارع أوكسفورد، وهذا في أغلب الظن بسبب ذلك التناقض المثير بين
إنسان عصرى يشحذ بالنغم أمام محل تجارى ثمنه ٥٧ مليوناً. فربما
كان البوليس يتدخل في أمرهما عندما يؤول الحكم إلى المحافظين
الذين لا يحبون إبراز تلك الصور الموحية بالفوارق الاجتماعية، وربما
كان هذا الشحاذ الأعرج وزميله عضوين في الحزب الشيوعى
الانجليزى، وما يمارسان تلك الوظيفة أمام سلفردج إلا رغبة في
تجسيم ما يزخر به المجتمع الرأسمالى من المتناقضات!

ولعل زميلاً لهما في نفس الحزب، ذلك الرجل الآخر الذى يذرع
نفس الرصيف من شارع أكسفورد، على كل من صدره وظهره اعلان
خشبي كبير عن قارئة للكف وكاشفة للغيب اسمها مدام ساندررا. طول
النهار يغدو ويروح وسط الآلاف من أهل البلد والسياح، عاملاً كادحاً
أحمر العينين بشدة، تاركاً في النفس - نفسى أنا على الأقل -
إحساساً غريباً بالمفارقة، إذ أتساءل لماذا لم ينتهز الرجل لحظة من
لحظات الفراغ لكى يبسط للمدام كفه ويأخذ منها فكرة عن غيبه
الخاص؟!!



محمء عففى؁ تأئه فى لندن محمء عففى؁ تأئه فى لندن محمء عففى



محمء عففى؁ تأئه فى لندن محمء عففى؁ تأئه فى لندن محمء عففى

وعلى رصف نفس الشارع غير بعفء من محلات سلفرء «٥٧ مليون جنفه» رأفء لمة كبفرة فانحسرت ففها لأعرف سرها بفن مفكرو جوبفن عاففن؁ وهنالك رأفء رجلا انجلفزفا قء وضع على الأرض صنفوقا كبفرا مفتوحا؁ ومنه فخرج زجاجات عطر صنففرة فنادى علفها بما معناه:

- سلفرء ببفعها بافنن جنفه! لكن أنا موش ح أقول افنن.. ولا حتى جنفه.. ولا نص جنفه.. ربع جنفه بس.. ربع جنفه القزازة فابلاش.. ف الله فاجءعان مال الخوافة!

هءا الرجل ءلفل ناطق على أن الفقر مازال موجودا فى عاصمة الامبراطورفة السابقة؁ فلو أن هءا الرجل لم فكن فقفرا فلماذا لم ففتح له محلا مثل سلفرءء ءءلا من أن فكتفى بمنافسته بهءه الطرفقة

❖ تائة فى لندن ❖

■ نسبة الفقر . ■

البدائية؟

ولهذا السبب - لأنه فقير - تجمع حوله كل أولئك الناس وغابت فى الجيوب والحقائب عشرات الأيدى تبحث عن أرباع الجنيه، من الذى لا يخف إلى نجدة هذا الرجل التعس الذى لا يوجد أدنى شك فى أن أولاده على شفا الموت من سوء التغذية إن لم يكونوا قد ماتوا فعلا؟ فلو كان معى ما يسمح لى بهذا الترف الخيرى لاشتريت منه زجاجة أو اثنتين ولا الحوجة لسفلردج، ولكن أنى لى فى لندن بالعملة التى تسمح بشراء الكولونيا التى حتى فى القاهرة لا أشتريها إلا اذا تعدت حرارة الولد المريض ٤١ وشرطتين؟!

فاكتفيت بأن أتهد وأنصرف، وعند محطة الاتوبيس وقفت أتصفح الجريدة التى أيدت تلك الحكاية الخطيرة عن وجود الفقر فى بلاد الانجليز. فلقد أجرت احدى الهيئات بحثا فى أحد أقاليم بريطانيا، ومنه تبين أن سبعين فى المائة من سكان ذلك الاقليم التعس يعيشون فى حالة فقر مدقع، فمعظم العائلات هناك - ياكبدي عليها - لا تربح أكثر من عشرة جنيها فى الاسبوع الكامل!

خبر يمزق بالطبع نياط القلب، فإذا صح هذا الكلام فماذا إذن كانت فائدة كل تلك القرون من قتل الهنود والسود والبيض فى أربعة أركان الأرض؟ أهذه نهاية كل هذا التعب. إن بعض الأسرات البريطانية مازالت تربح فى الاسبوع مبلغا لا يزيد على الذى تربحه أسرات البلاد المنهوية فى الشهر وربما فى العام؟!

محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي

العسكري الحزين



محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي

ناظرا إلى عسكري البوليس الانجليزي لا أدري لماذا يخيل إلى أنه ليس سعيدا في حياته، لاشك أن للمطر اللندني الوضع أثره في ذلك، إذ يلوذ منه المدنيون بالبيوت والبارات ويضطر هو أن يشربه كله في عرض الطريق، لكنه بدا لي غير سعيد حتى في تلك الساعات النادرة التي تطلع فيها الشمس أو تعد بالطلوع، ثمة نظرة حجرية في عينيه توحى بصرامة أكثر مما يستلزمه إجراء بوليس عادي مثل ذرع الرصيف بتلك الخطوات البطيئة الواسعة.

ولربما كان السبب في تلك الجهامة أنهم يصرون هناك على اختيار عساكرهم طوالا ممشوقى القوام يميلون إلى الوسامة، فرجل بهذه الصفات قد يعاني شيئا من المرارة المبررة بسبب هذه الوظيفة الصغيرة، شاعرا طول الوقت بأن مكانه الطبيعي ليس الرصيف وإنما شاشة السينما، وأن عمله الطبيعي ليس مطاردة اللصوص وإنما

■ العسكرى الحزين ■

❖ تأئه فى لندن ❖

مطاردة الحسان.

وهناك احتمال كبير لأن تكون من أسباب تعاسته تلك الخوذة المضحكة التى يضعونها فوق رأسه مثل سلطانية مقلوبة، والتى لا يمكن أن تكون لها أية فائدة فى غير أوقات المظاهرات المعادية لأمريكا كما أنه قد يكون بنطلونه هو السبب، باتساعه الشديد الذى يجعله أشبه ببنطلون على ساقى دمية فى فاترينة للعب الأطفال.

نعم هو ذلك البنطلون فى أغلب الظن، لا بسبب هذا الاتساع وحده وإنما بسبب ما يخيل إلى من أنه - على عكس بنطلونات الناس جميعا - ليس له جيوب، حقا إننى لا أستطيع أن أقطع بذلك بسبب طول الجاكتة، ولكن اذا كان لبنطلون العسكرى جيوب فلماذا لم أر يده موضوعه فى جيبه مرة واحدة؟ فإذا صح ظنى فلاشك أن هذا البنطلون يصبح نوعا من التعذيب، كلما هم المسكين بأن يدخل يده فى جيبه فيجد أنها قد دخلت فى لا شىء.

ولقد خطر لى أن أستوثق من الأمر بنفسى، بأن أقترب منه وأرفى ذيل جاكتته فى هدوء باحثا عن الجيب، لكننى قلت لنفسى إنه فى الغالب لن يرحب بهذا القدر الزائد من الفضول السياحى. بل إنه لرحب بمجرد سؤالى إياه إن كان له جيب أم لا، استنادا إلى ما وصفت لك من نظرتة الحجرية الكارهة للحياة، فكيف يرحب بهذا السؤال الشخصى وهو كما دلتنى التجربة لا يرحب بسؤالى إياه أين يوجد شارع كذا؟ نعم هو يجيبنى دائما على هذا النوع الأخير من الأسئلة، ولكنه وهو يفعل يبدو من أمره أنه يكرهنى ويكره الزمن الذى أرغمه على اجابتى. أصبعه التى يشير بها إلى الطريق يتمنى فيم يبدو أن يدبها فى عيني، ولهجته لهجة رجل لا يرشدنى بقدر ما يشتمنى.

❖ تأنه فى لندن ❖

■ تاله حسن الختام ■

محمد عفيفى، تأنه فى لندن محمد عفيفى، تأنه فى لندن محمد عفيفى



محمد عفيفى، تأنه فى لندن محمد عفيفى، تأنه فى لندن محمد عفيفى

فى آخر الشارع زمجر صوت موتوسيكل هاجم نحوى كالوحش
المجنون، فوثبت على الرصيف وأنا ألعن جنون السرعة المسيطر على
شباب اليوم، ثم اقترب الموتوسيكل منى ورأيت راكبة فإذا به لا شباب
اليوم ولا يحزنون، بل هى عجوز بنت ستين أو خمسين على الأقل!
فهنالك شيئان ينتشران فى شوارع لندن كالوباء، الحمام الذى لا
يجد من يأكله والعجائز الانجليزيات اللواتى لا يجدن من يلمهن فى
البيت، لا يمكن لك أن تنعطف فى طريق إلا وترتطم بعجوز مقبلة من
وراء الناصية، ولا يمكن أن يخطر لك الجلوس على دكة فى حديقة أو
شارع إلا وتجد عجوزا قد سبقتك إليها.

هى ترفض الاعتراف - العجوز الانجليزية - بأنها قد راحت عليها،
تموت ولا تقول يالله حسن الختام! وهى فيما يبدو تلفق عشرات
الأسباب التى تبرر خروجها من البيت، مثل رغيف عيش تدعى أنهم

■ تالله حسن الختام ■

■ تائه في لندن ■

في حاجة إليه، زاعمة أن حفيدها لا يستطيع أن ينوب عنها في ذلك لأنه - يا ضنايا - قد يصاب في هذا البرد بالزكام، فإذا تصادف أن كان البيت في غير حاجة إلى شيء فهناك كلبها الصغير الذي يجب أن تخرج به لكي تفسحه، غير مكترثة بما يتساقط من رذاذ يهدد بأن يكون مطرا، باسمه في سعادة كلما اضطرت إلى أن تتوقف - منقادة للعزير - عند هذه الشجرة أو تلك!

وهي في تلك المشاوير تحب أن تكون أنيقة على طريقته الخاصة، وكافة ورود الحديقة رأيتها في فستان واحدة منهن على خلفية من الحشيش الأخضر. وعلى رأسها قبعة أشبه بسلة للفاكهة، ومن السلة تنبعث ريشة سرقتها من ذيل طاووس.

وفي البارات يجلسن ليشربن البيرة شوبا بعد شوب، ضاحكات بأصوات خشنة عالية تغطي على أصوات الرجال، لم يسمعن - فيما يبدو - بتعبير «سن اليأس» الذي نطلقه نحن على الأنثى حين تكف عن الحيض، مصرات على ألا يلقين عزرائيل بغير شيء من رغبة البيرة على شفاههن!

محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي



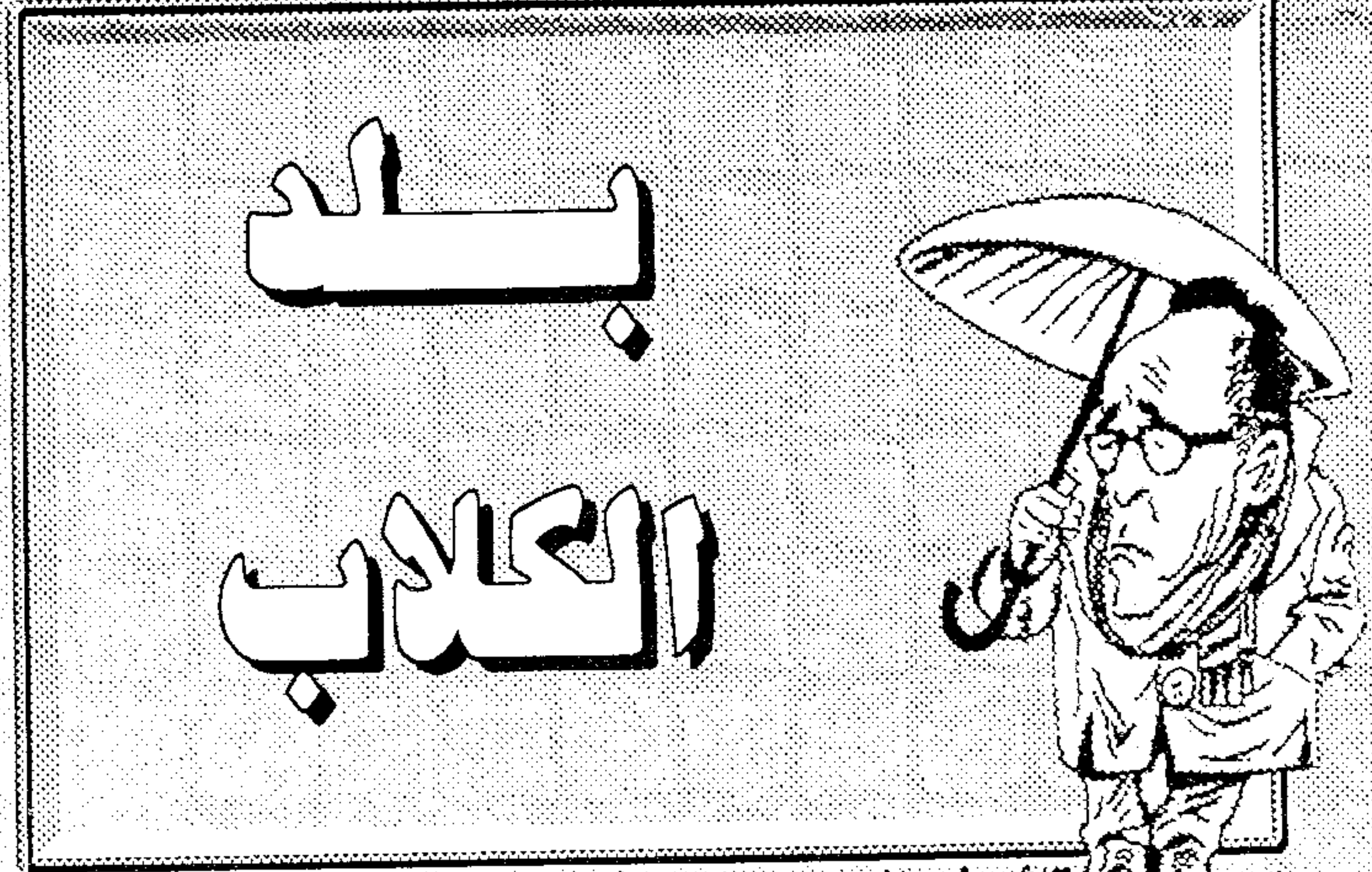
محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي

والعواجيز من الخناشير الانجليز لا يقلون عن عجائز النساء عنادا وتشبثا مستميتا بالحياة، وخذ على سبيل المثال ذلك الرجل الذي رأته في أحد المشارب، مقوس الظهر حتى ليوشك أن يلامس بأنفه ركبتيه، وعلى ساقيه المرتعدتين بشدة يحمل ما لا يمكن أن يقل عن ثمانين عاما، سار نحو البار يتخلع ويتنفض وأكاد أسمع لعظامه صريرا، وطلب من عاملة البار بصوته الأهم شيئا لم تفهمه لأول وهلة، فاستعادته عدة مرات قبل أن تدرك أنه يطلب شفافة! في استغراب نظرت إليه ثم قدمت له الشفافة التي تناولها بيد ترتعد مثل ذراعه ومثل ساقيه، وعاد يتخلع ويكركب متجها إلى مائدة رأيت فوقها كوبا من البيرة لا أدري ما الذي أوصله إلى هناك، ثم جلس الوغد وبيده المرتعشة راح ينشن بالشفافة نحو الكوب حتى نجح في أن يضعها في الشراب، ثم مال إلى الأمام وأطبق بشفتيه على الشفافة

وهات يا شفتا!

هي قطعاً طريقة غير تقليدية لشرب البيرة ولكنها كانت الطريقة الوحيدة المتاحة له، فبتلك اليد المهزوزة ما كان الرجل ليظفر من كوب البيرة بأكثر من جرعة صغيرة، وبأقى الكوب على هدومه! آخر عناد وآخر اصرار على كل من الحياة والبيرة، ليس غير الموت وحده يستطيع أن يحدد إقامته وأن يحرمه من كونه المحبوب، فلو اشتد عليه المرض حتى ألزمه الفراش فما أظنه يقلع عن الشراب، وهناك في السرير مرتعداً عاجزاً أهتم، ما أشك في أنه سوف يصرخ فيمن حوله مطالباً إياهم بزجاجة البيرة وبزازة!

محمد عفيفى، تأهه فى لندن محمد عفيفى، تأهه فى لندن محمد عفيفى



محمد عفيفى، تأهه فى لندن محمد عفيفى، تأهه فى لندن محمد عفيفى

وقع غريب لأقدام تدب وراء ظهرى فى ممر الاتوبيس، وملتفتا إلى مصدر الصوت دخل فى كادر النظارة ما يشبه أن يكون رأسا لأسد، مدى لحظة قبل أن أتبين أنه رأس كلب ضخم تقوده احدى عجائز لندن اللعينات. وبجلوس السيدة «برك» الكلب على الأرض فكاد لثقله يهز الاتوبيس هزا. وراكب آخر وصل وكان لزاما عليه لكى يصل إلى المقعد الخالى أن يعبر فوق الكلب، وحدث ذلك فى اللحظة التى تحرك فيها المذكور فتعثر الرجل فيه وأوشك على السقوط، فابتسمت العجوز قائلة له: إنها أسفة، وأجابها بقوله: إنه هو الذى أسف، بإخلاص يقولها كأنما الاتوبيسات قد صنعت أصلا لركوب الكلاب قبل أن يتطفل عليها المتطفلون من بنى البشر. ونفس هذا المعنى قرأته فى عين الكلب التى صوبها إلى مدى لحظة بنظرة لا تخلو من الاستغراب، ثم التفت إلى صاحبه كأنما يقول لها: شايقة ركاب آخر زمن؟

■ بلد الكلاب ■

■ تائه في لندن ■

فالكلاب في لندن - مثل العجائز اللواتي يسحبنها ومثل الحمام -
شيء أشبه بالوباء، واهتمام سكسوني بالجنس الكلبى يوشك أن
يرتفع من مرتبة التدليل إلى مرتبة التقديس. ولاشك أننى كنت أجد
نفسى فى موقف لا يخلو من الحرج لو أننى دخلت إلى ذلك الصالون
الذى مررت به لكى أحلق شعرى، قبل أن أكمل قراءة المکتوب على
اللافتة وأكتشف أنه صالون حلاقة للكلاب!

محمد عفيفى، تأه في لندن محمد عفيفى، تأه في لندن محمد عفيفى



محمد عفيفى، تأه في لندن محمد عفيفى، تأه في لندن محمد عفيفى

الشمس بالطبع قد أضحت مرة أخرى في خبر كان، والأمطار
الوضيعة تنهمر على دماغى وليس معى مظلة، وبينى وبين الفندق نحو
مائتى متر يجب أن أقطعها على قدمى، بدأت بالطبع بمشية سريعة إلا
أنها وقورة، وابتسامه فلسفية توهم الآخرين بأننى أكبر من تلك
الظواهر الطبيعية السخيفة، غير أننى مع بدء تساقط القطط والكلاب
رأيت أن السير السريع يجب أن يتحول إلى حنجلة، تلك الحنجلة التى
ما برحت بدورها أن تحولت إلى جري صريح بكل قوتى وملعون أبو
الوقار! وبينما أجرى أسب وألعن مستخدما كل ما عندى من ألفاظ
بذيئة أعرف أن أحدا لن يفهم منها شيئا.

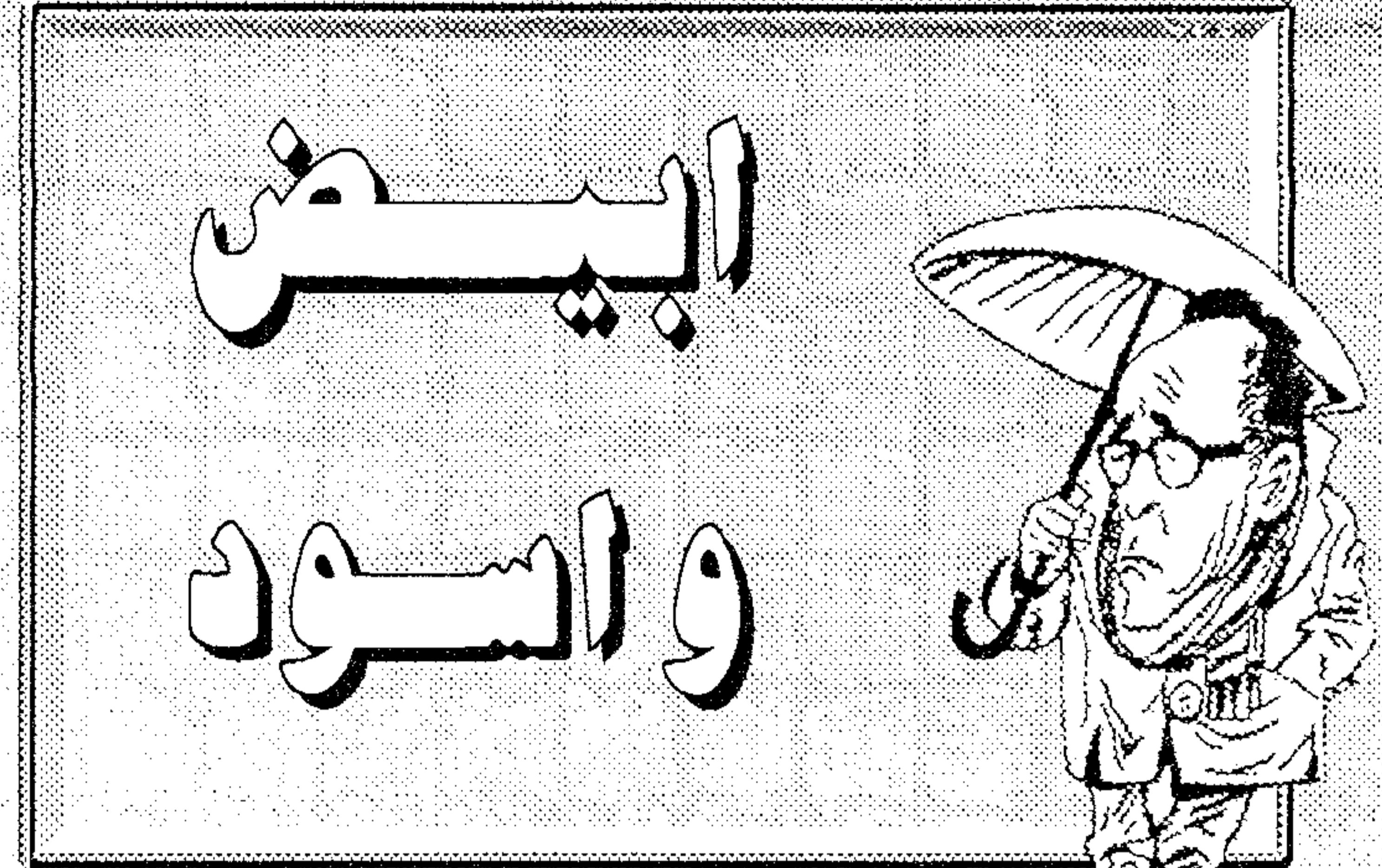
لكن الجرى لم يمنعنى من الفلسفة، إذ ومض فى ذهنى ذلك الخاطر
الفلسفى عن السبب الذى من أجله كان الرجل الانجليزى أبرد من

غيره بعض الشيء. وهذا السبب هو أن الرجل الانجليزى قد وجد لزاما عليه أن يختار بين أمرين: إما أن يكون باردا وإما أن يجن! فلو أنه سمح لأعصابه بأن تثور كلما هطل المطر، ولو أنه راح مثلى يسب ويلعن فسوف تتحول حياته كلها إلى حالة من الردح المتواصل، ولسوف تنعكس هذه الحالة العصبية على سلوكه العام بما يهدده، بفقد كافة أصدقائه، وربما انتهى الأمر بفصله من العمل وعودته إلى البيت لكى يجد أن زوجته قد أخذت العيال وطفشت.

إمسك أعصابك يا جورج! اهدأ يا جون! خليك بارد يا وليام! هكذا يقول الرجل الانجليزى لنفسه طوال الوقت، جيلا بعد جيل وهو يجرى تحت تلك الأمطار اللعينة حتى تحول التطبع إلى طبع، ونشأ هذا الرجل الذى اضطر إلى أن يكون باردا. ولذلك يقول الذين يعرفون الاستراليين أنهم ليسوا باردين مثل أجدادهم الانجليز، ولاشك أن الانجليزى المعاصر لو سافر إلى استراليا وقضى بعض الوقت هناك لبدأ يتغير تدريجيا مثل حلزونة تشعر بحرارة الشمس فتمد رأسها وتخرج من قوقعتها، شيئا فشيئا يذيب الدفء ثلوج نفسه ويزيل جهامته ويجعله مرحا مثل القنفذ الذى يتقافز حوله فى الشمس المشرقة.

وفى هذا الانهماك الفلسفى وأنا أجرى نسيت أن أتخذ ذلك الاحتياط اللازم بما يناسب الموقف، وهو أن أُلَف فى الجريدة رغيف العيش الذى كنت قد اشتريته لزوم الغداء، وهناك فى الفندق تبين لى اننى أحمل بدلا من الرغيف كتلة من الدقيق المعجون بماء المطر، أكلة لا تصلح لكائن سوى البط أو الفراخ، وللأسف لم يكن فى الفندق أرز، وإلا لأضفت بعضا منه إلى الرغيف وأكلته فتة!

محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي

لا بد أنك قرأت كثيرا عن السفاحين أولاد الكلب، الذين أبحروا ذات يوم من موانئ بريطانيا والبرتغال وغيرهما إلى شواطئ أفريقيا، وذلك لممارسة أوسخ تجارة يمكن أن يمارسها الانسان وهي تجارة الانسان نفسه! بقوة السلاح الحديث يصيدون السود العزل مثلما تصيد الأرانب البرية أو الغزلان، وفي قاع السفينة يكسبونهم كالخنازير، في رحلة طويلة إلى المستعمرات في الأمريكتين، في خلالها يموت منهم بالمرض والجوع من يموت، وبالرصاص يموت من يخطر له أن يثور، وهناك في تلك المستعمرات يسمونهم بالآلات الحية اللازمة لاستغلال المزرعة، تماما مثل ما فيها من البقر والجاموس. ولعله مما يدلك على بشاعة تلك الحرفة أن أحد أولئك القراصنة - وهذا إنجليزى - عمد في ذات غارة على أولئك السود التعساء إلى قتل

عدة آلاف منهم فى سبيل أن يصطاد أربعمائة لا غير!
ساورتنى تلك الخواطر وأنا جالس فى مترو لندن، وغير بعيد منى
منظر يحتاج المرء إلى كثير من الجهد لكى يصدق أنه يراه، منظر تلك
اليد البيضاء للشاب الانجليزى وقد اشتبكت فى حنان باليد السوداء
لصاحبتة الافريقية المسممة. وبين حين وآخر تتضاغط اليدان فى
محببة زائدة، فى أجمل صورة بالأبيض والأسود للأعنصرية
وللتضامن الأفرو أوروبى..

فلاشك أن شيئاً لا يقل عن المعجزة قد وقع حتى جعل من الممكن أن
ينحدر هذا الشاب الانسانى الرقيق من صلب ذلك السفاح المجرم ابن
ستين كلب! ما هو ذلك الشيء لا أدرى ولكنه قد حدث، ومن الابتذال
بالطبع أن أقول إن هذا الشاب لا يفعل شيئاً سوى التكفير عن ذنب
الأجداد.

وكانت هناك فى عينه نظرة متجاهلة لمن يجلسون حوله ولا تخلو من
لمسة من التحدى، إذ يعلم أن ليس كل من يرون هذا المنظر يباركونه
من قلوبهم، لاسيما تلك الشئلة الجالسة هناك والمكونة فيما يبدو من
سياح أمريكان. وهو فى الوقت نفسه يعرض شخصه لتهمة القصور،
وأنه لو لم تنبذه البنات البيض لما رضى لنفسه بتلك الصديقة
السوداء، ولكنه يقول للناس بتلك النظرة المتحدية إن الأمر لا يهمه
بالمرّة وإنه حر فى اختيار صديقتة، وأنه يؤمن بالمساواة بين كل
البشر، وبالاختصار كده طظ فيكم!

وفى عين البنت نظرة سعيدة حاملة، وشبح ابتسامة يتلاعب على
زاوية فمها لا يخلو للأسف من شبهة مرارة صامتة. فهى بدورها تقرأ
ما يدور فى أدمغة الناس حولهما من أنها حين ضمت ذلك الشاب

تائه في لندن ❖

■ أبيض و أسود ■

الأبيض إليها قد سرقتة من أهله وأخذت فيه شيئاً أكبر مما تستحق.
أحببت الاثنين من قلبي وتمنيت لهما أطيب الأوقات، وتذكرت كلمة
كنت قد كتبتها ذات يوم عن التهجين، وعن مدى غياب الانسان الذي
يعمل على تحسين كافة السلالات ماعدا سلالته الخاصة، غير مكترث
بعبء التاريخ التي تشير إلى أنه ما من حضارة كبيرة قامت إلا على
أثر هجرات متعددة واختلاط بين عدد من الشعوب أدى إلى ظهور تلك
الطفرة الحضارية الجديدة.

وتضاغطت اليدان من جديد في حنان فازداد حبي لهما، ولذلك - أو
بالرغم من ذلك - تمنيت لهما أن يتزوجا وينجبا طفلاً. فليست أشك في
أنه سوف يكون أجود وأمتن من أى طفل يولد أوروبياً أو افريقياً
خالصاً، دعك من أن لونه سيكون جميلاً جداً، أم تراك سوف تجادلنى
في جمال لون القهوة باللبن؟

تأه في لندن

من الذي يقود القطار

محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي

والسود في لندن كثيرون إلى درجة غريبة حقا، ولرب قطاع معين في لحظة معينة في الشارع اللندني يوحى إليك - لو أنك نقلت إلى لندن معصوب العينين - بأنك قد نقلت إلى كينيا لا إلى بريطانيا! ولعلك تذكر الآلاف الذين امتلأت بهم مطارات بريطانيا وموانئها عندما صدر ذلك القرار الخاص بوقف الهجرة إليها بعد تاريخ معين، وهي ظاهرة وجدت من الانجليز من عارضها خوفا من أن يتحول الوضع في بريطانيا إلى ما يشبه الوضع في أمريكا، وفي الوقت نفسه وجدت من يؤيدها مستندا إلى ذلك الرد المنطقي: - إذا نحن أوقفنا هجرة السود إلى بريطانيا فمن الذي يقود القطارات!؟

وذلك أن نصف قطارات المترو التي ركبتهما كان يتصدرها سائق

تائه في لندن

من الذي يقود القطار

افريقي، وتلك الوظيفة ليست من الوظائف المحببة للانجليز لما فيها من مشقة بالغة وشبه انعدام لإجازات آخر الاسبوع المقدسة. وإذا كان الافريقي الفقير يفضل أن يقود قطارا في لندن على أن يسوق بقرة عجفاء في كينيا، فإن الانجليزى الفقير يفضل أن يعيش على الاعانة الحكومية أو على ما يدره عليه ماندولين يداعب أوتاره على أرصفة بيكاديللى.

فلو أن الحال في سائر العواصم التي لم أزرها مثل الحال في لندن، أى لو كانت نسبة السود واحدة بين سائقى القطارات وسائر وسائل المواصلات، أفليس من الطريف أن نصل إلى هذه النتيجة الغربية: أن السود هم الذين - رمزيا على الأقل - يقودون الحركة في العالم كله؟!

❖ تأنه في لندن ❖

■ في جحيم من القبل ■

محمد عفيفي، تأنه في لندن محمد عفيفي، تأنه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تأنه في لندن محمد عفيفي، تأنه في لندن محمد عفيفي

منزلقا على سلم المترو المتحرك بالوقار المناسب لرجل يقشر باكو شيكولاتة كادبري بالزبيب واللوز، صعد نحوي على السلم المجاور - بنفس الانزلاق إلا أنه إلى أعلى - منظر قابله بالبرود المتوقع مني بعد عدة أسابيع في لندن، منظر الحضن المعلن على الملأ حالة حب بين ذكر وأنثى، حتى بالرغم من تلك اللحية الحمراء التي تميز بها هذا الذكر، والتي كانت كثة بدرجة قد تثير حسد أسقف كانتربري نفسه إذا افترضنا أن كانتربري تتطلب من أسقفها لحية. وحيث أن البنت كانت تقف على درجة من السلم أعلا من صاحبها فقد انتهز الوغد الملتحي تلك الفرصة وأسند على صدرها كلا من رأسه ولحيته، مسلما الأخيرة لأصابعها الحنون التي تجوس بين الشعيرات الكثيفة مثل قرودة تفلتي صغيرها!

ومن خلفهما كان ينزلق شاب وفتاة آخران في حالة لا تقبيلية

❖ تائه في لندن ❖

■ في جحيم من القبل ■

غريبة، الأمر الذي يدل على أنهما قد وصلا في حبهما إلى درجة خطيرة من الفتور، وأنه قد مضى على تعارفهما ما لا يمكن أن يقل عن ثلاثة أسابيع كاملة، غير أن البنت ما لبثت أن تداركت الموقف بأن ضمت الولد إليها وقبلته، مضطرة إياه إلى أن يرد التحية بأحسن منها، وتلك ظاهرة لاحظتها في أكثر من قبلة لندنية من مئات القبل التي لا تبرح تزقزق كالعصافير حولي، إن البنت الغربية هي التي بدأت تمسك زمام المبادرة، ملتزمة تلك القبلة بجذبة لا تخلو من العنف العايب للذكر المتردد مع مد نحوه للبوز الملائم العطشان.

روتينية جدا تلك القبلات العلنية إلى درجة أنني رأيت شابا من أبطالها ينزع فمه عن فم صاحبه مدى لحظة تتيح له أن يتنأب توطئة لأن يعاود القبلة من جديد! وبهذا الملل الجنسي يتأكد أن أوروبا العصرية قد نجحت فعلا في إلغاء الجنس كمشكلة، بعد قرون طويلة قضتها أوروبا المسيحية وهي تحاول إلغاء كظاهرة. ولعل الصناعة قد خلقت لها من المشاكل الكبيرة ما جعل لزاما عليها أن تبدأ بإلغاء تلك المشكلة الطبيعية الصغيرة.

والشرقي منا قد يجد صعوبة في الجزم بأيهما أحسن - قبلة تدور على سلم المترو أو أخرى تدور تحت سلم العمارة! أو قل أيهما أقرب إلى الصحة الشبع إلى درجة التثاؤب أو قضاء الساعات في خيالات الجنس المجهولة، في الحجرات الموحشة على صوت مطربة في الراديو يتمرغ في تأوهات الحرمان - حرمان الشباب لا المطربة طبعاً! ومهما قال الشرقي فسيظل الشارع الغربي على حاله، وسيظل يمتزج فيه أزيز الموتورات برنين القبلات، فدعنا من هذه الفلسفة التي أنستني أن في يدي باكو من الكادبري المقشر.

محمد عفيفي، تأثت في لندن محمد عفيفي، تأثت في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تأثت في لندن محمد عفيفي، تأثت في لندن محمد عفيفي

في بيكاديللي من جديد، وما زال المقاطيع اياهم مرابطين حول التمثال، وازاء الكاميرات التي ما برحت تطرقع حولهم، وبعد أن صاروا أحد المعالم السياحية في المدينة مثل حرس الملكة، بدأت تساورني بشأنهم فكرة جديدة، وهي أنهم في أغلب الظن موظفون في مصلحة السياحة! لا فلسفة هناك ولا يحزنون، وما هذه الثياب الغربية إلا بدل الشغل! السياح يحبون أن يشعروا أن في العالم «موجة جديدة» وفلسفة جديدة، فلماذا لا نقدم لهم تلك الصورة السيريلية الملققة لندخل السرور إلى قلوبهم في مقابل شيء من فلوسهم؟ وأي تمثال آخر غير تمثال الحب يمكن أن يساهم عن طريق الرمز في إلهاب العواطف والخيالات السائحة؟

فإذا صحت هذه الفكرة فلا يبعد أن يأتي يوم تمتد فيه موجة

❖ تائفة فى لندن ❖

■ مقاطيع ام موظفين ■

الاضرابات المتلاحقة فى لندن إلى هؤلاء الموظفين، وعند ذلك ينظر
ايروس تحته فلا يرى بنتا حافية ولا شابا يتقصع! وهنا يتعين على
الحكومة أن تحضر موظفين غيرهم لتحطيم الاضراب، وربما تحول
التمثال إلى شرطى متنكر يصوب إلى الكارهين سهما حقيقيا!

❖ تائه في لندن ❖

■ مع السلف الصالح ■

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

كإنسان محب لجده الحيوان لم يكن معقولا أن أجدني في لندن دون أن أزور حديقة الحيوان فيها، بالرغم من أن ثمن دخولها سبعة شلنات ونصف، ومن أنني توجهت إليها في أيامي الأخيرة ولم يبق في جيبى سوى اللضى وإن كنت لا أعرف ما هو اللضى.

وهي حديقة جميلة حقا لا أستطيع أن أعترض فيها على شيء سوى عشرات اللافتات التي تقول إنه من الممنوع اطعام الحيوانات، حتى وإن كان ذلك - كما تقول اللافتات - حرصا على صحتها. فلاشك أن هذا أمر مزعج للطفل البريطاني إذا كان من نفس طينة أطفالى، الذين لا تكتمل لهم متعة زيارة الحديقة ما لم يطعموا القروود والدبة والزرافة، دعك من القرش الذى يودعونه فى زلعومة الفيل.

ولعل أجمل ما فى الحديقة ذلك البناء الضخم مثل مسرح البالون،

تائه في لندن

مع السلف الصالح

المصنوع من شبكة معدنية رقيقة لا تحجب النور أو الهواء، وفيها ترتع عشرات الأنواع من الطيور الملونة وغير الملونة حرة طليقة، وأنت أيضا لك حق الدخول إليها لترتع مع نفس الطيور، بألفة مثيرة حقا إذا كنت تميل مثلي إلى سلفك الصالح.

ومما لفت نظري فيها أيضا ذلك العدد الكبير من التماسيح الضخمة المظللة، في مقابل تلك السحلية التي أذكر أنني رأيتها يوما في حديقتنا بالجيزة، والتي لم أوافق على أنها تمساح إلا لكي لا أكذب الرجل الذي كتب تلك الكلمة على القفص. وحيث أنني لا أذكر أنني رأيته في العهد الأخير فأغلب الظن أنه مات من الوحدة والملل. التمساح لا الرجل طبعاً، فلست أدري كيف توجد في لندن تلك الثروة التمساحية الضخمة في مقابل ذلك الفقر التمساحي عندنا، والمفروض فينا أننا نتسلى على ضفاف النيل باطعام التماسيح في أيام الجمعة. وناظرا إلى الأسود أدهشني أنها مثل الأسود التي في حديقتنا تماما، الأمر الذي يدل على أن الحيوانات ستظل دائما أقرب إلى المحافظة على تقاليدنا من الإنسان. فلا الأسد أطال شعره مثلما فعل الرجل الغربي، ولا أبرزت زوجته من خبايا جسمها أكثر مما تبرز أنتى الأسد في الجيزة.

لكنني للأسف لم أنجح في الاطلاع على كل تفصيلات الحديقة، فهل يمكن أن تمر ساعة في المدينة المبتلة دون أن ينهمر من المطر ما يفسد عليك أية متعة حتى ولو كانت زيارة أسلافك؟

محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي

وصوت رنين خافت لجرس صغير يشخلل في الحديقة الخلفية للفندق وهو لسبب ما يصل إلى أذني من جهات مختلفة، مرة من هنا ومرة من هناك، فنهضت ونظرت من النافذة حيث رأيت قطا أو قطة - لا أدري - يتقافز في الحديقة كعادة القطط مطاردا شيئا ما. ومن تنقل صوت الجرس مع حركة القط بدا أنه مرتبط به بطريقة ما. الأمر الذي ثبت لي عندما تبينت بتدقيق النظر أن هناك جرسا صغيرا يتدلى من عنقه ويشخلل معه كلما نط هنا أو هناك.

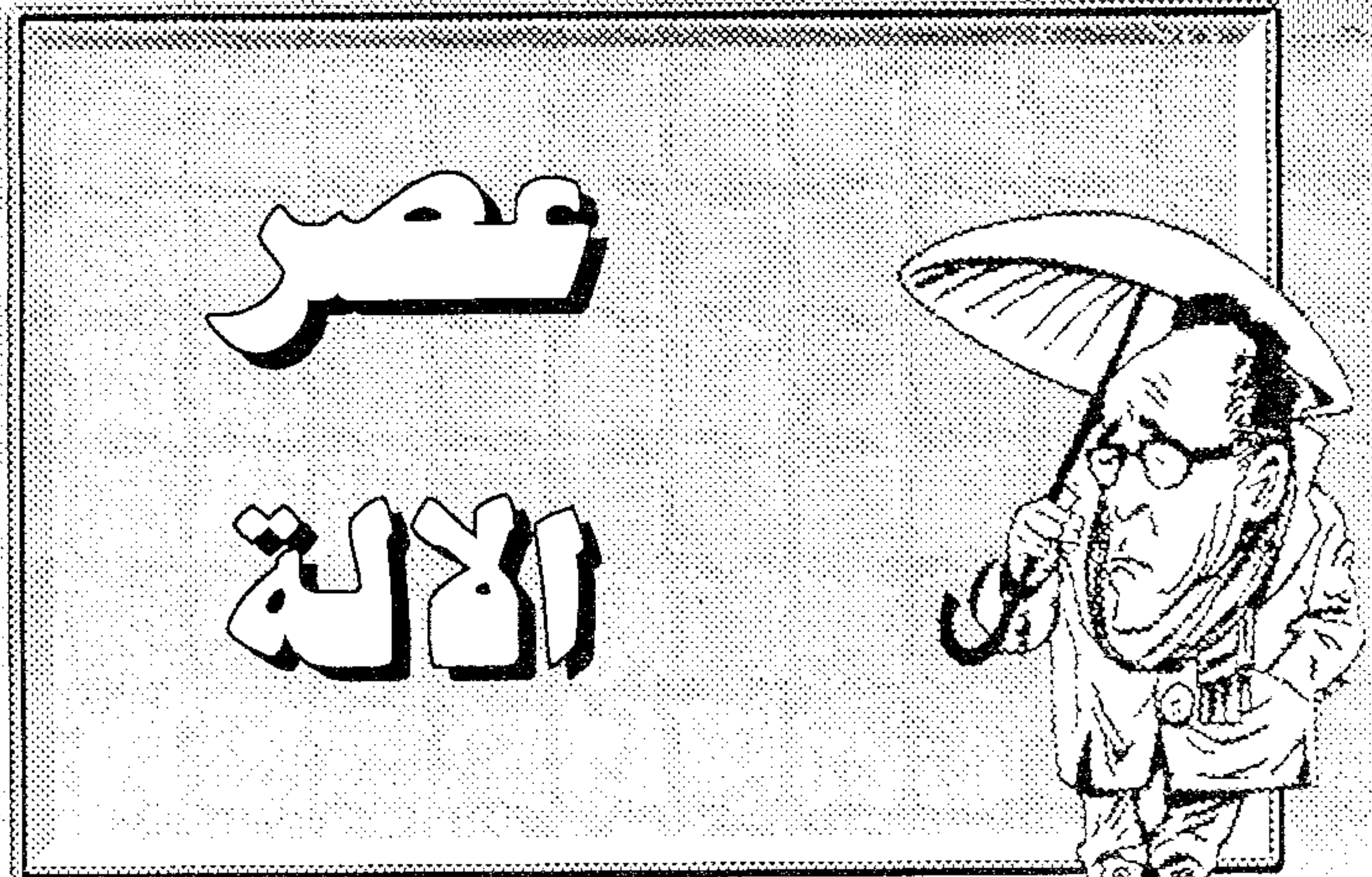
وبسؤال البنت التي تأتي لتنظيف الحجرة عن الغرض من ذلك الجرس قالت أنه يرجع إلى مشاعر الرحمة التي يزخر بها صدر صاحبة البيت، إذ كرهت أن تتعرض عصافير الحديقة للخطر من قطها فركبت في عنقه ذلك الجرس الذي ينبه العصافير وسائر

تائه في لندن ❖

■ سيدة طيبة ■

الكائنات اللطيفة إلى ذلك الخطر المقترب، وأما من ناحية القط فهو ليس محتاجا إلى أكل العصافير بسبب ما يشهد به شحمه الكثير على وفرة ما يعطى له من ألوان الغذاء داخل البيت. كلام معقول وعاطفة تشكر عليها تلك السيدة قطعاً، وإن كنت أعتقد أن الحاجة تدعو بشدة إلى تعليق جرس مماثل في عنق كائن آخر هو العنق الشخصي للسيدة الطيبة! فبمثل هذا الجرس كانت تفكر مرتين قبل أن تتسلل إلى الحجرة لكي تضع بعض الماء بدلا من الجرعة التي نالتها من زجاجة الويسكي التي أهداني إياها أحد الأصدقاء لزوم الدفء في العاصمة الباردة!

محمد عفيفى، تأهه فى لندن محمد عفيفى، تأهه فى لندن محمد عفيفى



محمد عفيفى، تأهه فى لندن محمد عفيفى، تأهه فى لندن محمد عفيفى

متعة ميكانيكية غامرة وأنا أدس نصف الكراون فى ثقب الماكينة التى تبيع السجائر، وبينما أستخرج العلبة من المكان المخصص أسمع شخلة لطيفة لعدد من البنسات تتساقط فى مكان آخر، وهى الفكة التى حسبتها الماكينة الخبيثة كحق تبقى لى من نصف الكراون! والتماسا لتلك المتعة الميكانيكية شريت أكثر من زجاجة كازوزة مع اننى لا أحب الكازوزة وأكلت أكثر من باكوشيكولاتة مع أنها توجع بطنى، وذات مرة وضعت قطعة العملة المطلوبة فى الثقب فإذا بها تنزل فى الوعاء المخصص دون أن تقدم لى فى مقابلها أى علبة، فالتقطت العملة وأودعتها فى الثقب من جديد، وإذا بها تنزل لى فى الوعاء المذكور مرة أخرى، كلما أودعتها نزلت لى وأنا لا أفهم لماذا يحدث ذلك، إلى أن ظهرت لى على لوحة خاصة كلمات كهربائية تقول لى: لا

بيع! أى أنها الماكينة - قد صبرت على كل ذلك الوقت منتظرة أن أياس وانصرف فلما وجدتني لا أياس لم تجد مفرا من اخطارى بتلك الكلمات أنها تعتذر عن البيع لسبب أو آخر! فابتعدت عنها متلفتا حولى بالخجل المناسب من عباطتى، وحمدت الله على أننى قد رأيت تلك الكلمات وامتنعت عن مواصلة ايداع العملة ملحا فى طلب العلية. فلا يستبعد لو اننى واصلت ازعاج الماكينة بهذا الشكل أن تظهر لى على اللوحة كلمة تهزىء تزعجنى بالرغم من أنها بالكهرباء!

فلمست أدرى لماذا لا نستورد عندنا تلك الماكينات اللطيفة أو نصنعها، فلاشك أن ماكينة من هذا النوع سوف تدخل البهجة إلى أكثر من قلب مصرى. وبالنسبة للكازوزة أعتقد أن تلك المتعة الأوتوماتيكية فى الحصول على الزجاجاة سوف تجعلك أقل انزعاجا عند وصولك فى تجررك للسائل إلى الصرصار الصغير السابح فيه. نعم نحن فى حاجة إلى ذلك النوع من الماكينات فى هذا الوقت الذى أكثرنا فيه من الحديث عن فنون التكنولوجيا.

محمد عفيفي، تأئه في لندن محمد عفيفي، تأئه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تأئه في لندن محمد عفيفي، تأئه في لندن محمد عفيفي

بخطوات واسعة وواقعة سارت الفتاة في لباس غريب لا تعرف إن كان بدلة أخيها أو بيجامة أختها، وعلى صدرها الجريء وبالخط العريض نقشت تلك الكلمة الصغيرة ذات الحروف الثلاثة Sex! ومعناها إن كنت لا تعرف هو «الجنس»، وتلك الكلمة التي لا أظن أنك - شأنك في ذلك شأنى - قد رأيتها مكتوبة على صدر أى بنت، حتى ولون كانت من ذوات الدوسيهات!

فإذا تركنا الأخلاقيات جانبا، وإذا تركنا فكرة أنه اعلان لا لزوم له بالمره شأنه شأن لوحة أعلقها أنا على صدرى تقول للناس اننى صحفى، فليس من شك فى أننا لا نستطيع أن ننكر على الفتاة تلك الدرجة النادرة التى تتمتع بها من الجرأة والقدرة على التحدى. كما أننا - وهذا أهم - لا يسعنا سوى أن نشهد بالقدرة الفذة للشارع

اللندنى على قبول هذا اللون من التحديات. وسط الزحام تختال البنت باعلانها وليس ثمة من يعترض طريقها أو يلقي إليها بالا، تماما كما لو كان المكتوب على صدرها اعلانا عن ماركة سجائر أو فيلم سينمائى، أو حتى حكمة أو قولا مأثورا! نظرات سريعة تقرأ الكلمة ثم ترتد عنها، بابتسامة صغيرة ساخرة هنا أو هناك.

اعلان كهذا لا يمكن بالطبع أن يظهر فى الشارع القاهرى، حيث أن مفهومنا القانونى لما يخدش حياء الناس سوف يخول لكل العساكر حق القبض عليها، ولكل المواطنين حق التبليغ عنها. ولكنه حتى بغير الناحية القانونية لا أظن أن بنتا بهذه الصورة يمكن أن تظهر فى شوارع القاهرة. فلو تصادف أن وجدت البنت التى تحتكم على هذا القدر من الجرأة - وهذا مستحيل - فهى تعرف جيدا ماذا سوف يحدث لها. هذا المشوار سوف يتكالبون عليها لاسيما لو سولت لها نفسها أن تركب الترام. وهذا بالطبع ما لم يستل أحد أهل الورع سكيناً أو مطواة، ومحوقلا مستغفرا يغمدها فى صدر البنت ويضمن قصرها فى الجنة.

بديهى أن ذهنك لم يتجه إلى اننى - فى حديثى عن جرأة كل من البنت والشارع اللندنى - أحبذ هذا اللون من العناوين على صدور البنات أو على أى مكان آخر من أجسامهم، فالابتذال لم يكن فى أى يوم من الأمور التى تستهوينى، إنما أردت أن أسجل للشارع اللندنى قدرته الفذة على ضبط النفس، ومبالغاته فى تقديس حرية الفرد حتى فى أن يبتذل نفسه.

وفى النهاية لا أفهم السبب الذى من أجله اكتفت البنت بتلك الكلمة

الواحدة مع أن صدرها كان يتسع للمزيد من التفاصيل. فلاشك أن عنوانا كبيرا كهذا كان يحتاج إلى بعض السطور الصغيرة التفسيرية، توضيحا منها لماذا تعنيه على وجه التحقيق بكلمة الجنس، هل هي مثلا معه أو ضده، وهل تعنى به الجنس بين الأزواج أو بين غيرهم، على سبيل التسلية أو التجارة، وما إلى ذلك من المعلومات التي يحتاج إليها غريب مثلي، فهذا هو أحد العيوب التي ضايقتني في الانجليز ميلهم الشديد إلى الغموض!

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

وطوله لا يقل عن مترين وطول شعره نصف متر، في بنطلون مهلهل من نوع «البلوجينز»، ويقع لونية كبيرة تلمخ البنطلون إمعانا من صاحبه في تحقيق أكبر درجة من البهذلة العامة، فإذا تابعت البنطلون إلى أسفل وجدت صاحبه حافيا، قدماه الكبيرتان تتلاقى مع قدمين لحافية مثله تقف مستندة إلى صدره وبين ذراعيه، ليس في هايد بارك ولا في ركن مظلم من لندن، وإنما تحت الأضواء الساطعة، على ناصية شارع شافستبرى الذي يمتلىء في ذلك الوقت بالآلاف المواطنين والسياح الذين حضروا للتسكع في حي سوهو.

ومثل مقاطيع ايروس قيل لى عن هذا اللون من الناس أنهم يرفضون كل أنواع الرسميات والتقاليد وينادون بالعودة إلى الطبيعة، وأنا شخصا لا أجد أى علاقة بين الحفاء والفلسفة، وإذا كان لابد

من الفلسفة وخلع الأشياء فلاشك أن هناك من القطع الكسائية ما ينطوى خلعه على عمق فلسفى أكبر. وما أظن هذا الفيلسوف الحافى سيكون قادرا على مواصلة فلسفته لو أصيب بالروماتيزم من طول وقوفه على الرصيف البارد المبتل، أو على الأقل لو دخلت فى رجليه شظية من زجاجة بيرة أسقطها سكران غير متفلسف.

لكن المنظر على العموم شهادة جديدة للشارع اللندنى بالقدرة على ضبط الأعصاب وعلى قبول التحديات، إذ لا يبدو أن هذين العاشقين الحافيين قد أثارا اهتمام أى من المارة سوى. وسط الرصيف يعترضان زحاما لا مباليا، حولهما يدور الناس مثلما يدورون حول أى عائق عادى فى الطريق. فيبدو أنه منظر مألوف فى لندن وفى سائر العواصم التى لفظت أولئك السياح، وأنه قد صار من حق الرجل وفقا لمفهوم الحرية أن يجمع على أرصفة الشوارع بين وظيفة العاشق ووظيفة فانوس النور!

■ عيون حالة ■

■ تائه في لندن ■

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

انتفخت أوداجي بشدة - وإن كنت لا أعرف على وجه التحقيق ما هي أوداجي - أمام العيون الجريئة الزرقاء التي تطيل التفرس في وجهي، للأنثى السكسونية الجالسة أمامي في الاتوبيس. ولمسة عذبة حاملة تخالط تلك النظرات فأقول لنفسي أنه لا بد سحر الشرق وقد بدأ يفعل فعله في قلوب بنات الغرب، ويا له من حمار ذلك الخواجة كيبلنج، الذي زعم في ذات نوبة استعمارية أن الشرق والغرب لا يمكن أن يلتقيا.

وفجأة رأيت رأس البنت المفتونة يميل إلى الأمام شيئاً فشيئاً حتى كاد يسقط عند صدرها، لولا أنها سارعت برفعه مع الرمش بالعينين بشدة، الأمر الذي فهمت منه - متنهدا بالعمق المناسب للاستسلام الفلسفي - أنه لا سحر شرقي هناك ولا يحزنون، وكل ما في الأمر أن

هذه بنت مجهدة تغالب النوم بعد يوم من العمل الشاق!
فالبنت الغربية تعمل مثل الولد تماما، طوال ثماني ساعات من
التاسعة حتى الخامسة، مع نصف ساعة عند الظهر تخطف فيه
لقمة وفنجان قهوة، فلا عجب أن تتعب البنت وتعود إلى بيتها في
المساء كالجثة الهامدة، أي أنه جدير بك أن تطرد من دماغك تلك
الفكرة السخيفة عن وجود أية علاقة بين منظري الخاص وبين ذلك
النوم الذي كبس على البنت فجأة!

■ لماذا الجرس ؟ ■

■ تائه في لندن ■

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

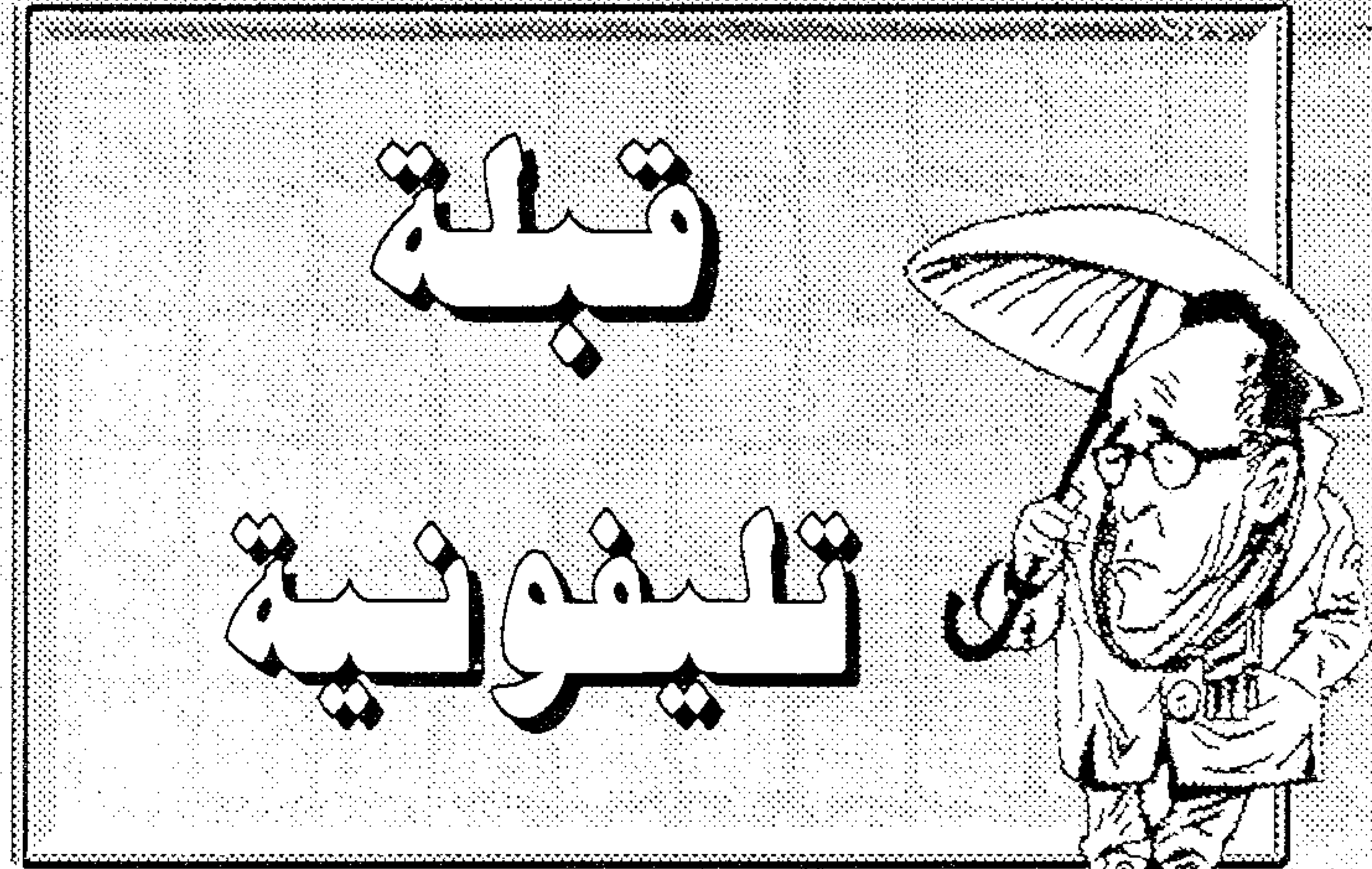
أكثر من مرة عازمت على أن أحذو حذو السائح العادي وأذهب للفرجة على تغيير حرس الملكة، ومنعتني من تنفيذ الفكرة أسباب كثيرة أهمها بالطبع أن الدنيا كانت تمطر. هذا وأنا من ناحية أخرى لا أوافق في قرارة نفسي على الفكرة ذاتها، حيث أن الملك الانجليزي في صورته العصرية لا يحتاج في نظري إلى أي نوع من الحراسة، فمن الذي يخطر له أن يقتل الملك في وجود رئيس للوزراء؟

وهذا يتأكد بالطبع اذا كان ذلك الملك ملكة، فليس ثمة من يفكر في قتل الملكة غير مجنون هارب من المستشفى، وفي مواجهة مثل هذا الخطر لا أظن أن الملكة تحتاج إلى أكثر من بواب للقصر وكلب وولف. أما كل هذا العدد من الحراس بملابسهم المزركشة وقبعاتهم المضحكة فنوع من الاسراف الذي لا مناسبة له في موجة التدهور

التي يتعرض لها الاسترليني، ولكن القصر الملكي يصر فيما يبدو على أن يظل قصرا امبراطوريا حتى بدون امبراطورية، وهو اصرار لا يفترق كثيرا عن اصرار برنس مصرى سابق على أن يكون لسيارته سائق يلبس اليونيفورم والكاسكيت، يعطيه ماهيته فى أول الشهر ثم يبدأ فى اقتراضها منه من يوم خمسة!

نعم هى نفقات لا مبرر لها بالمرّة، ويكون أحكم لو وجهت لتحسين حال بعض المواطنين المساكين، مثل الرجل الذى يقف على باب محطة ميدان راسل وقد علق على صدره لافتة تقول للمبصرين إنه أعمى. أو للرجل الآخر الذى أقابله كل صباح فى شارع سترانند، طويل اللحية رث الثياب يتوكأ على عكازين يحملانه بسرعة غريبة إلى مهمة مجهولة لا يمكن بالطبع أن تكون الفرجة على تغيير الحرس!

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

لسبب لا يهملك كثيرا أردت أن أتكلم في التليفون وقصدت إلى الكشك العمومي لكي أجده مشغولا، لا برجل يتكلم في التليفون وإنما بشاب وفتاة يستندان عليه وقد التحما في حال من العناق العنيف. وعلى أطراف أصابعها تشب المضروبة لكي تغمر وجهه السعيد بالقبلات، كارهة أن تترك جزءا منه وليس فيه أثر من شفقتها. وذلك الكشك - لعلمك - مصنوع من الزجاج الذي لا يحجب شيئا مما فيه، أي أنهما لم يدخلاه طلبا للاختباء وإنما لما فيه من هيئة الديكور الذي يجعل منهما أشبه بصورة في برواز.

ودقائق مرت وأنا أنتظر أن يشبعا ويخرجا بلا فائدة، فماذا أفعل سوى أن أتهد وأنصرف باحثا عن كشك آخر؟ وعلى مسافة مائة متر افت خلفي فرأيت أن العمل مازال جاريا، وتمنيت لو أنني أجيد

■ قبلة تليفونية ■

■ تائه في لندن ■

الكتابة بالانجليزية لكي أكتب رسالة لمحرم التايمز، مقترحا فيها
معاملة القبلة في أكشاك التليفون مثل معاملتنا في القاهرة للمكالمه
التليفونية، وذلك بتعليق لافتة تقول أن مدة القبلة لا تزيد على ثلاث
دقائق!

■ انظر يمينك ■

تائه في لندن

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

ال
ن
ظ
ر

ي
م
ي
ن
ك



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

من رأيي أن الرجل لا يمكنه أن يقول - صادقاً - أنه قد فهم مدينة لندن حق الفهم، ما لم يكن قد شرع من تلقاء نفسه في الالتفات جهة اليمين كلما هم بعبور الطريق، ذلك الرأي الذي إذا سلمنا بصحته فيبدو أنني سأغادر لندن وكأننا يا بدر لا رحلنا ولا جينا! اذ هممت منذ قليل بالنزول عن الرصيف فرأيت على أرض الطريق كلمات كبيرة بالخط العريض الأبيض تقول لي انظر يمينك! فنظرت إلى يميني لكي أرى أجمل ساقين تبرزان في أجراً صورة من أقصر ميكرو جوب، الأمر الذي جعلني أشعر بالاعجاب الشديد ببلدية لندن التي أمكنها أن تنبهنى إلى المنظر بهذا التوقيت الدقيق! ومواصلاً نظرتي اليمينية نزلت عن الرصيف لكي أسمع فرملة حادة لسيارة مقبلة، فقفزت إلى الخلف وقد تذكرت فجأة أن البلدية لم يكن عندها أية فكرة عن ذلك

الميكرو جوب عندما أمرتنى بأن أنظر إلى يمينى وإنما كانت تعرف أن سائحا مغفلا مثلى سوف يحاول عبور الطريق من هذه النقطة، ناسيا أن السيارات فى لندن - على عكس السيارات فى البلد التى وفد منها أيا كانت - تسير على يسار الطريق لا على يمينه!

زغرة حادة من السائق قابلتها بالذلة المناسبة لجلافتى، ثم سرت فى حال من الغيظ المتزايد من أولئك الناس الذين يصرون - بخلاف العالم أجمع - على أن يسيروا على الشمال. فلماذا يفعلون ذلك؟ هل يريدون أن يثبتوا للناس - مثلا - أنهم من طينة نفسية خاصة، وأن شيئا فى الحضارة البريطانية قد نجح فى تخليصهم من تلك العادة التى توشك أن تكون غريزية فى الجنس البشرى - عادة السير على اليمين!

مستبعد طبعاً أن يكون هذا هو السبب، ومن السخف أن أحسم الأمر بقولى بأن عقلهم مركب شمال، ولذلك انتهزت فرصة وجودى فى أحد التاكسيات وألقيت بالسؤال إلى السائق الذى يحتمل أن يكون عنده الجواب، فتنحج الرجل وشرع فى الإجابة بلهجة تدل على أنه قد سمع ذلك السؤال وسمعه وسمعه حتى سئمه إلى درجة الموت. وكانت اجابته مكونة من مجموعة فريدة حقا من حروف الراء والسين تساندها حروف أخرى، غير أنها للأسف لا تحتوى على أى كلمة من الكلمات التى مرت على فى أى من الكتب الانجليزية التى قرأتها. فشكرته متظاهرا بالفهم وغادرت التاكسى وأنا أشد جهلا بالسبب الذى من أجله يسيرون على اليمين، دعك من السبب فى أن الانجليز لا يعرفون الانجليزية.

■ الرجل الغريب ■

تأه في لندن ■

محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي

زهقت ذات يوم من التوهان اللا ارادى فقررت أن أتوه على سبيل
التغيير بكيفى! وكان ذلك فى ذات أصيل تراءت شمسه وراء غلالة من
سحاب يمكنك أن تصفه على سبيل التجاوز بأنه شفاف، أشبه شىء -
تلك الشمس - بخيال لامرأة تلمحه وراء الستار فلا تعرف إن كانت
حسنة أو شمطاء ولكنها على العموم تشيع فى نفسك قدرا لابس به
من الدفء.

فى المحطة ركبت أول قطار صادفنى من قطارات ما تحت الأرض
مفاجئًا بعد حين بأنه قد خرج من تحت الأرض وبدأ يسير فوقها،
وسط رقعة خضراء توشك أن تكون قطعة من ريف بلادى لولا أنى لم
ألمح فيها أى نوع من الجاموس. ثم وقف القطار وبدأ كل الناس
ينزلون فأدركت أنها محطة النهاية ونزلت مع النازلين، محطة هادئة

■ الرجل الغريب ■

■ تأئه فى لندن ■

تحيط بها الأشجار مثل محطة المعادى عندنا، وتؤدى إلى مجموعة كبيرة من فيلات متشابهة عتيقة الطراز عجزت عن أن أقطع هل هى فاخرة أو غير فاخرة. وشارع بين صفيين منها أغرانى هدوءه بأن أتمشى فيه إلى نهايته، لاسيما وقد لمحت عند تلك النهاية خلفية خضراء ربما كانت حقلا من الحقول التى أحبها.

فما كدت أوغل فى ذلك الشارع حتى بدأ يساورنى شعور مزعج يتنافى مع الهدوء الشامل المحيط بى، شعورى بأننى قد وضعت فجأة تحت المراقبة ومن جميع الجهات. عشرات من العيون وراء الستائر المسدلة على النوافذ أحسست أنها ترقبى، وامرأة فى مطبخها - وكانت نافذته بلا ستار - كفت عن العمل الذى تقوم به لكى تحمق إلى وقد تدلى فكها فيما يشبه الذهول. وشاب مقبل راح يتفحصنى بطريقة تتناقض كل التناقض مع ما ألفته من النظرات الانجليزية السريعة المتجاهلة. وطفل فى احدى البلكنات ما كاد يبصرنى حتى هب من مقعده كالمسوع وصاح بما معناه: بصى ياماما!

فضربت أمه على يده زاجرة اياه عن الاشارة إلى الناس، ولكن عينها قالت لى أنها ليست أقل اهتماما بالأمر عن طفلها، مثل سائر الأشخاص الجالسين حولها فى البلكنة والذين تركزت على أبصارهم فى نفس ذلك الاهتمام الذى لا يخلو ملمسة ريبة. وسرعان ما تقاربت رؤوسهم فى شكل مؤتمر صغير للفحص فى أمرى.

- ماذا يفعل فى شارعنا هذا الرجل الغريب؟

هكذا لا بد أن يكون أحدهم قد تساءل، ولا بد أن أحدا آخر قد أجاب:

- لا بد أنه قادم ليزور أحدا.

- يزور من؟
- قد يكون مستر سميث؟
- ولماذا لا يكون مستر براون؟
- ولماذا لا يكون مستر هاريس؟
- ولماذا لا يكون مستر وليامز؟
- أوه نوا! صحيح أن لها مبادلها الكثيرة منذ وفاة زوجها ولكنها لا يمكن أن تنحط إلى هذا الدرك!
- ثم لاشك في أنهم تحولوا بعد ذلك إلى المناقشة في جنسيتي.
- انه لا يبدو انجليزيا.
- هو ليس أبيض كالأوروبيين.
- وليس أسمر كالأفريقيين.
- وليس أصفر كالأسيويين.
- ولكنه أجنبي قطعاً.

فتلك هي مأساتي كما قلت ذات يوم، اننى أبدو أجنبيا أينما حللت! والداهية اننى فى ذلك اليوم كنت أعرج بعض الشيء، ولا بد أنهم راحو يتناقشون فى تلك المسألة أيضا. بين رأى يقول باننى أعانى من آثار قديمة لشلل الأطفال، ورأى آخر يقول اننى رقت علة حامية فى بار حقير، ورأى ثالث يؤكد اننى قد أسأت تقدير ارتفاع النافذة وأنا أقفز منها بالمسروقات! غيد عالمين - سامحهم الله - ان السبب فى عرجى هو سفالة واحدة من بي جنسهم، تاجر فى الأوكازيون قال لى وقد رانى أختار حذاء متعبا:

- خذ ده أحسن.

فأخذت الحذاء الذى رشحه وما فاتت على ساعة واحدة حتى كنت أعرج، وفتاة فى بلكونة أخرى رأتنى فصاحت قائلة جين! كرهت أن ترانى وحدها وأن يفوت المنظر أختها التى خرجت من جوف البيت مسرعة وهمهمة بين الاثنتين ثم ضحكة صغيرة مكتومة. فلعنت أبا الحظ الذى رمانى إلى هذا الشارع العجيب الذى يبدو من أمره انه لم يعرف الأغرب منذ عشرين سنة على الأقل.

فحمدت الله عندما وصلت إلى نهاية الشارع حيث يوجد ذلك الحقل الأخضر، تلك النهاية التى كانت لسوء الحظ نهاية بالمعنى الحرفى للكلمة. فالشارع مسدود بحاجز من الأسلاك الشائكة التى تقول لمن يعبرها إلى الحقل وقعة أبوك سودة! ومن ثم فليس أمامى سوى أن أعود من حيث أتيت، وسط نفس النظريات ونفس الهمهمات والمناقشات الحامية. ولاشك أن أمرى قد ازداد غموضا بعد أن عدت بهذه السرعة، لا زرت مستر براون ولا مستر هارى ولا حتى مسز وليامز!

ولكننى أعرف اننى قد أسديت خدمة لسكان ذلك الشارع وأعطيتهم بزيارتي هذه يوما يساعدهم فى الربط بين الأحداث، ولن أعجب اذا كانوا اليوم يختلفون على تاريخ وقوع الحادث أو ذاك فيقول أحدهم أنه حدث فى أغسطس ١٩٦٧ مستدلا على ذلك بقوله:

- بامارة الراجل الأعرج ما كان فايث!

تأه في لندن

أدب المزعج

محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي، تأه في لندن محمد عفيفي

وعلى أى حال فالسائق الانجليزى الذى يريد أن يدهسنى ولا يمنعه من ذلك إلا خوفه من العقاب، ظاهرة طبيعية تتمشى بسهولة مع فكرتى عن الرجل الانجليزى كواحد من الذين بنوا الامبراطورية على جثث الآخرين. إنما يستعصى على فهمى - وينرفزنى - ذلك النموذج الآخر للسائق الانجليزى الذى ما يكاد يرانى أصل إلى حافة الرصيف حتى يدوس الفرملة من نفسه ليتيح لى فرصة العبور، حتى وإن كان هو قد وصل إلى المفارق قبلى، وإزاء هذا الذوق غير المتوقع أرسم أنا على وجهى أعذب ابتساماتى الشرقية وأشير له بيدي بما معناه:

- لا والله ما يمكن! اتفضل أنت...

وإزاء هذا الذوق من ناحيتى بيقدر هو أن يكون أكثر منى ذوقا

قطاع الثقافة

■ أدب المزج ■

■ تأنه في لندن ■

فيشير لى بيده الخاصة من وراء الزجاج مع ابتسامة غريبة تقول:
- موش ممكن أبدا! حضرتك الأول..

فأعيد اشارتى ويعيد اشارته، ويضيع من وقتنا أكثر من دقيقة فى تلك المجاملات الفارغة بين الشرق والغرب. وأخيرا أقرر أن أقبل دعوته إلى العبور قبله استنادا إلى أنه هو الذى بدأ سلسلة المجاملات، وذلك فى اللحظة التى يقرر فيها هو أن يمر قبلى مادمت مصرا على أن أكون أكثر منه ذوقا. فأنزل من على الرصيف فى اللحظة التى يتحرك فيها، الأمر الذى يضطره إلى أن يفرمل مرة أخرى، وأرتد أنا إلى الرصيف كما كنت، ومن جديد نشرع فى مهزلة المجاملات السابقة.

نعم إنه يستحق منى كلمة ثناء، ذلك السائق المهذب الظريف، ولكننى أعترف لك بأنه كما أسلفت ينرفزنى. ففى ذلك الذوق المفرط ألمس عنصرا خفيا من السخرية الماكرة، بالاضافة إلى ذلك التشويه المقصود لفكرتى عن بناء الامبراطورية.

■ اين بناء الامبراطورية ■

■ تائه في لندن ■

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

اين بناء

الامبراطورية؟



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

وأصارك القول بأنني لم أر طول هذه الأسابيع في لندن أي انسان يبدو من أمره أنه من بناء الامبراطورية، الأمر الذي يدل على أنني إما أتحرك في الأماكن التي لا يوجد فيها أولئك البناء، وإما أنهم ظاهرة قد انقرضت من البلاد تماما.

لا يمكن أن يكون من بناء الامبراطوريات ذلك الرجل العجوز الذي رأيته في حديقة ريحنت، جالسا على احدى الدكك وحوله نحو من خمسين حمامة تأكل من الحبوب التي ينثرها لها بابتسامة حنون لا أثر لأي نوع من التطلعات الامبراطورية.

ولا يمكن أن يكون منهم ذلك الرجل الآخر الذي رأى باقي الشلن يسقط مني على الأرض في محلات وولورث، فانحنى ليساعدني على جمع البنسات البرونزية متلقيا شكري بابتسامة عريضة تقول لي

■ أين بناء الامبراطورية ■

■ تائه في لندن ■

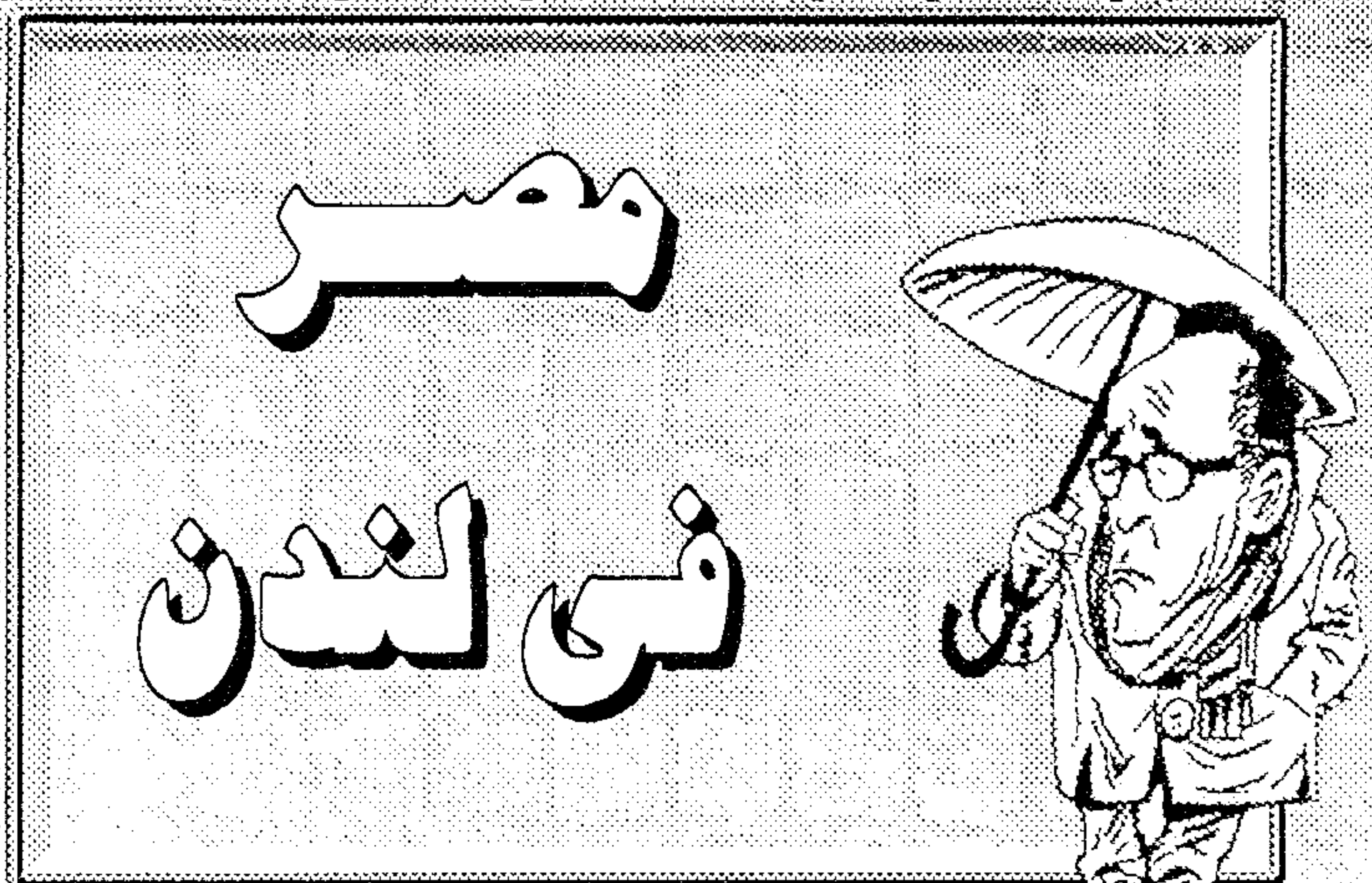
العفو. وبالطبع لم أصل إلى تلك الحقيقة الخاصة بأنه ليس من بناء الامبراطورية إلا بعد أن عدت البنسات ووجدتها كاملة!

ولا منهم ذلك الرجل الذي جلس في المترو المزدحم وعلى حجره طفله الصغير، الذي التحم - الطفل لا الرجل - مع طفل هندي يجلس في المقعد المقابل على حجر أبيه الهندي الخاص. بالأيدى الصغيرة يتضاربان في مزيج من الدعابة والخناق الطفولي، ذلك المنظر الذي ارتسمت له على وجه الأب الانجليزي بسمة تفيض باللاعنصرية الحلوة وبالتقديس المشكور للأخوة البشرية. فأين هذا الرجل من بناء الامبراطورية الذين داسوا في الهند على أكثر من طفل هندي، غير حافلين باحتمال أن يكونوا قد أنجبوه بأنفسهم في إحدى الحملات على هذه القرية أو تلك؟

فيبدو اننى سأغادر لندن دون أن ألتقى بأى من بناء الامبراطورية، اللهم إلا اذا كان واحدا منهم ذلك الرجل ذو الأنف المعقوف، الذى زغر لى بشدة من وراء زجاج الرولز السوداء، مع اننى لم أفعل شيئا أكثر من اشارة أدعوه بها إلى الوقوف معتقدا انها سيارة تاكسى.

ومن السماء دوى أزيز لطائرة ركاب ضخمة، بريطانية من الغالب ما فيها من ألوان كثيرة موحية. فيها الأسود بلون زنوج افريقيا واستراليا، وفيها البنى الفاتح بلون الهنود فى آسيا وأمريكا، وفيها الأسمر الهادىء بلون المصريين والعرب، وفيها الأصفر بلون أهل الصين واليابان، وفيها الأحمر بلون دماء جميع الذين ماتوا بينادق المستعمرين فى تلك البقاع!

محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي



محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي، تائه في لندن محمد عفيفي

ما كنت بالطبع لأغادر لندن قبل أن أزور متحفها الشهير، وهناك قصدت على عجل إلى القسم الفرعوني، مشتاقا في غربتي إلى شيء يوحى إلى بأنني ما زلت في بيتي. وفي صدر القسم رأيت كتلة كبيرة من الصخر هي حجر رشيد، مجيد يا حجرى حيث تقف هناك في صدر القسم ويسمونه حجر روزيتا بنفس الجلافة التي جعلتهم يسمون المسلة إبرة، وتقول الكتب إنهم سلبوه من الفرنسيين عندما هزموهم بقيادة وغد اسمه أبركرومبى، غير عالمين أنهم لو لم يسلبوه لأخذوه فيما بعد على سبيل الهدية من الباشا الفنجرى. ولعل هذا هو السبب في أنهم حولوا اسمه إلى حجر روزيتا، تعميذا له باسم غربى لكى لا يتذكروا أنهم سرقوه كلما نطقوا بكلمة رشيد، ومجموعة هائلة من آثارنا تملأ أركان المتحف، من الأسورة التي كانت تستخدمها

الأنثى الفرعونية العادية فى تزيين معصمها، إلى رأس هائل من
الجرانيت الأحمر لتحتمس الثالث ذات نفسه، وذراع طولها عدة أمتار
من تمثال مكسور لرمسيس، وأسود امينوفيس رابضة فى صمت
حزين وسط أصداء بعيدة لتراويل كهنة أمون فى كتاب الموتى.

وموتى كثيرون فى توابعيتهم المزركشة الواقفة مثل صف من
الحرس، وفى صندوق زجاجى كبير ترقد مومياء لبنت مصرية غير
معروفة. بصعوبة وجدت ثغرة أراها منها بين فخذين جريئين فى
الميكرو جوب، طاردا من دماغى حكمة مبتذلة لأبى العتاهية عن الولادة
للموت والبناء للخراب. ولاشك فى أن أفكارا مماثلة دارت فى دماغ
ذلك الحشد من السياح وهم ينقلون البصر بين الميكرو جوبات وكفن
البنت، التى لابد قد تهادت ذات يوم فى فستان من الكتان الشفاف،
سالية لب أكثر من ذكر مصرى ولهان.

مجيدة يا أيتها البنت المحنطة ويا حجر رشيد لا روزيتا، ويا ذراع
رمسيس ويا رأس تحتمس، ويا كل قطعة فرعونية منهوبة فى لندن
تصرخ لاهجة بالمجد الذى كان لنا!

محمد عفيفي، تأئه في لندن محمد عفيفي، تأئه في لندن محمد عفيفي

الأبرة الخالدة



محمد عفيفي، تأئه في لندن محمد عفيفي، تأئه في لندن محمد عفيفي

كذلك ما كان لي أن أغادر لندن دون أن أرى مسلتي القائمة على شاطئ التايمز، مجيدة أنت يامسلتي حيث تقومين هناك شامخة رغم الغربية حاكية للعالمين العالمين قصة المجد الذي كان مجدنا. على شاطئ النيل منذ أربعين قرنا قبل أن ينجح أصحاب التايمز في كتابة اسمه أو حتى مجرد النطق به، فهي صعبة بعض الشيء - كلمة تيمز - على رجل فرغ لتوه من التهام سمكة نيئة صادها بحرية من الصخر المسنون وغاصت منها شوكة في لسانه وأخرى في حلقه البدئي. يسمونها هناك إبرة كليوباترا، مدللين بذلك على جهلهم الفاضح. أو على الأقل على ازدراء العلماء منهم لثقافة العابر العادي على رصيف فيكتوريا فهي من ناحية لا تمت إلى كليوباترا بأية صلة، إذ يثبت قبل مولد المذكورة بنحو من خمسة عشر قرنا، وهي من ناحية أخرى أكبر

بكثير جدا من أن تكون إبرة، مهما بالغنا فى تصور الحجم الذى كان لأى من الترزى أو الخياطة الفرعونيين.

بناها تحتتمس الثالث فى هليوبوليس عام ١٥٠٠ قبل الميلاد، جالسا فى ظلها وفى غفلة من حتشبسوت يحلم بأمجاد المستقبل فى مجدو والنهرين. وبعد قرنين من الزمان أضاف رمسيس الثانى إلى نقوشها بعض كلمات من عنده، ذلك التطفل الذى طالما وقع فى أحسن العائلات حتى - ولاسيما - اذا كانت ملكية. فلما غزا الاغريق مصر نقلوها من هليوبوليس إلى الاسكندرية التى جعلوها - لِحِبهم للطراوة - عاصمة رسمية للبلاد. وهناك تحولت من رمز دينى إلى مجرد أداة للزينة.

وخلال القرون التالية لا أشك فى أنها شعرت بقدر كبير من الوحشة والغربة والارتباك ازاء ما لا يبرح يتردد حولها من أصوات جديدة غريبة وكثيرة منها منكر هدير عجالات الرومان وتنهيدات كليوباترا بين أحضان انطونيو على ايقاع من صرير أسنان أوكتوفىوس. ثم صليل سيوف عمرو بن العاص ونداء من فوق مؤذنة ممشوقة كالمسلة يقول إن الله أكبر، ثم سنابك خيل الأتراك والمماليك بريين وبحريين، الأصوات التى ما لبثت أن خنقت فى فرقعات القنبر الفرنسى الذى نزل على الناس وما كانوا عاينوه من قبل.

كل ذلك شاهدته مسلتى فى صبر فرعونى تشكر عليه حقا، غير عالمة بتأشيرة الخروج التى تعدها لها أقدارها العابثة، اذ ولى حكم البلاد بائع سجائر من قولة اسمه محمد على وفى لحظة انسجام تركى برم شنبه وقرر اهدائها للشعب البريطانى العزيز متوهما رحمة

الله بأنه بذبحه للمماليك في القلعة ورث كل شيء في العزبة المصرية حتى مجد تحتمس.

وكان الغرض من الهدية مشاركة الانجليز في احتفالهم بنلسون، تمجيذا لانتصاراته البحرية على فرنسا وأسبانيا دعك من انتصاره البري على لورد هاملتون، وتمجيذا في الوقت نفسه لانجليزى آخر اسمه سير رالف أبركرومبى، درس القانون كما يقولون ثم هجره مفضلا عليه شريعة الغاب، ومات في أبوقير وهو يطرد من حول المسلة ما تبقى هناك من فلول بونابرت.

ما خطر قط لولى النعم وهو ييقشش على الانجليز بالمسلات أنهم على وشك تسجيل انتصار آخر لن يرتاج إليه كثيرا، انتصارهم شخصيا في حرب المورة وتحطيم أسطوله في موقعة نفارين، وهناك ظفرت أسماك البحر الأبيض بوجبة أكبر من اللازم من اللحم المصرى المملح بأحلام الباشا الداخنى، الذى اتضح آخر الأمر أنه لم يكن جنديا من معدن ممتاز.

غير أن صعوبة شحن مثل هذه المسلة الضخمة « ٣٠٠ طن تقريبا » كانت سببا في تأجيل الرحلة حينما من الزمن. ولم يعمد الانجليز إلى تنفيذ العملية إلا في سنة ١٨٧٧، إذ صنع لها رجل انجليزى اسمه ارازموس ويلسون اسطوانة ضخمة تحميها من الماء وتسحب فيها من الاسكندرية إلى لندن، تلك الرحلة التى يدل مجرى الأحداث على أنه قد صحبتها من آلهة أجدادى ألف لعنة ولعنة. فلا بد أنهم عقدوا اجتماعا سريعا برئاسة أمون ورع. ذلك الاجتماع الذى تمخض عن

انتداب إله الريح «شو» للسفر إلى خليج بسكاي ليكون في انتظار السفينة. ان هب هناك من الرياح ما عصف بتلك السفينة وقذف بها على صخور الشاطئ، وما أشك في أن ايزيس قد أسهمت في استثارة غضب الأمواج بشيء من دموعها، وأن نقصا في الفيضان - لهذا السبب - قد شكا منه المزارعون على شاطئ النيل.

وفى تلك العاصفة مات ستة بحارة من طاقم السفينة وهجرت المسلة في اسطوانتها على أحد الشواطئ المقفرة، وعام كامل مر قبل أن يعاودوا البحث عنها وينقلوها إلى لندن بمعرفة رجل اسمه جون ديكسون، وهناك أقيمت على شاطئ التيمز غير بعيد من القصر الملكي، لكي تتمكن الملكة فيكتوريا من رؤيتها كلما خرجت لتمشي رجليها الملكيتين.

من ذلك اليوم صار اسمها إبرة كليوباترا وصارت إحدى المعالم السياحية لمدينة لندن، وأمامها وقفت في خشوع أتلو صلاة فرعونية صامتة. وأنثى سائحة صعدت السلالم القليلة المؤدية إليها وأسندت ظهرها عليها مع التقصع، باسمه للكاميرا التي يصوبها إليها صديق العائلة. وسائحات أخريات غرن منها فأقبلن وحذون حذوها: رافضات أن يعدن إلى بلادهن وليس في ظهورهن أثر من ابرة جدى. والجميع يمرون بى ولا ينتبهون إلى، غير عالمين - الجهلاء - اننى الوريث الشرعى لتلك المسلة ولكل ذلك المجد الذى كان. فوددت أن أعتلى تلك السلالم وأشرع فى إلقاء كلمة تعرفهم بشخصى، لكننى آثرت أن أوجل الأمر لحين لحظة من التفسخ النفسى تصيبنى فجأة فى هايد بارك.



على دكة على شاطئ القنال الصغير في الضاحية اللندنية المسماة
بفينيس الصغيرة، جلست أرقب بطة جميلة طافية على سطح الماء،
باسما لها في حنان بسبب ذلك الشعور المبهم بأننى أعرفها، وبأننى
ألقيت لها ذات يوم لقمة سميط فى جزيرة الشاى بالقاهرة فشكرتنى
بقولها كاك.

فَعدما يقترب الشتاء سوف ترتعد لحظة ثم لا تبرح أن تبسط
جناحيها الصغيرين المزركشين وتطير، عبر المانش تحلق لا أخذت
فيزة ولا باسبور. وعبر مزارع الكرم فى فرنسا، عسى أن تقف لحظة
لتستريح فوق طرطوفة برج ايفل. ووقفة أخرى فوق جبال الألب، متلقتة
حولها تبحث عن جزيرة الشاى، ثم عبر البحر الأبيض فوق الأسطول
السادس، أرجو أن تسقط على كتف أحد الكباتن علامة صغيرة ترقيه

درجة.

أما حالياً فهي تطوف مثلى فى لندن، وفى عينيها السوداوين البراقتين رأيت نظرة تأكدت منها أنها هي الأخرى قد عرفتنى وتريد أن تسألنى أين لقمة السميط. فهي بالطبع لا تعرف أن هذه الأشياء غير موجودة فى لندن، وأن هذا الترف الغذائى لا يوجد فى غير أسواق القاهرة.

ولقد كنت لأجلس ساعة أناجيتها لولا الظروف التى تدخلت لتقطع جلستى والتى أعتقد أنك قد عرفتها من نفسك، وهى ذلك الرذاذ الذى بدأ يتساقط معلنا أن السحب قد شربت من الماء أكثر من اللازم! فنشرت المظلة فوق رأسى وواصلت الجلوس فى عناء، وتذكرت ما قرأته فى كتيب سياحى عن أن الشاعر براوننج كان يقيم فى مكان ما على التربة. فلربما يكون قد جلس على هذه الدكة وناجى مثلى جدة لهذه البطة، ثم قطع خواطره مطر كهذا المطر فملاً نفسه بالمرارة التى تفيض بها أكثر من قصيدة له! أنا شخصياً لو أقمت هنا عاماً كاملاً لانتهى أمرى ككاتب فكاهة، ولبدأت أكتب أشياء يتحول ازاءها شوبنهاور نفسه إلى كبير المتفائلين!

وهزت بطتى ذيلها وجدفت بساقيها بسرعة لتحتمى هنا أو هناك من ذلك الاسهال السماوى، وبينما تبتعد التفتت ورائها نحوى وسمعتها تنادىنى، قالت لى قابلنى بعد شهرين فى جزيرة الشاي، ولفظة ثانية إلى الورا لتقول لى وماتنساش السميط! فلست أدري من أين جاء كل هذا الحنين الذى فاض فى نفسى فجأة نحو الوطن الحبيب، وبنسات كثيرة تشغل فى جيبى عددها فوجدت أنها تكفى لحملى إلى المطار.

■ وداعا يا لندن ■

❖ تائه في لندن ❖

محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي



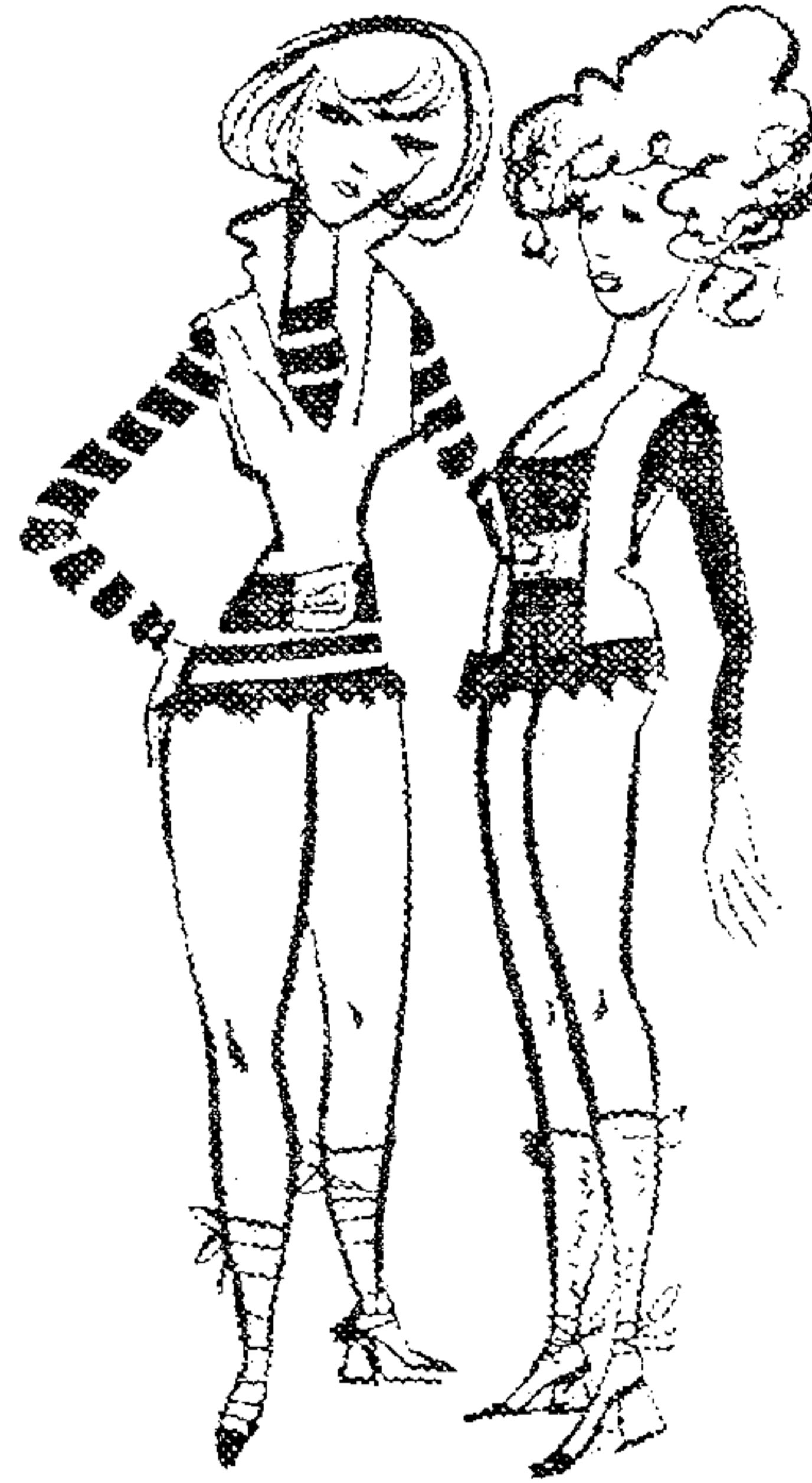
محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي ، تائه في لندن محمد عفيفي

وإذا كانت لندن إحدى عواصم الدنيا فقد بدت من الطائرة المحلقة كتلة من المباني الصغيرة المتشابهة التي قد تكون بيوت ناس وقد تكون أعشاش نمل. وما لبثت المدينة كلها أن اختفت عندما صارت الطائرة نوق تلك الكتلة الرمادية من السحب المتكاثفة، التي لا بد أنها عاكفة في تلك اللحظة على قذف العالمين هناك بالآلاف الكلاب والقطط. على كل من راكبي الرولز وأكلى السمك والتشيس، والخاطبين في هايد بارك والشاحدين في شارع اوكسفورد، والعجائز المتوقفات عند الأشجار بالكلب العزيز، والمادات أبوازهن العطشى لذكر بارد متردد، والمقاطع المتقصعين والحفاة، والجريئة عيونهن وأفخازهن في كل مكان، والحمائم المتخمة والقطط المظللة ذات الأجراس، والتمائيل العالية المبتلة لرجال خرجوا ذات يوم يطاردون بالسيف ضوء الشمس، وأعلى

■ وداعا يا لندن ■

■ تائه في لندن ■

منها كلها ابرة جدى الشامخة على شاطئ التيمز، راوية للناس وإلى
الأبد قصة المجد الذى كان مجدنا!



الفهرست

الشهادة كفن جميل..... (ص ٨٧)	بشائر لندن..... (ص ٥)
نسبية الفقر..... (ص ٨٩)	في الطريق..... (ص ١٠)
العسكري الحزين..... (ص ٩١)	السيقان الموسيقية..... (ص ١٦)
يا لله حسن الختام..... (ص ٩٣)	نوع من العيون..... (ص ١٩)
قائدة للشفاطة..... (ص ٩٥)	القبلة الحلال..... (ص ٢٢)
بلاد الكلاب..... (ص ٩٧)	الكنيسة الخاوية..... (ص ٢٦)
الانجليزى البارد..... (ص ٩٩)	السماء الباصقة..... (ص ٢٩)
أبيض وأسود..... (ص ١٠١)	الخضرة الخضراء..... (ص ٣٢)
من الذى يقود القطار؟..... (ص ١٠٤)	عصافير الليل..... (ص ٣٥)
في جحيم من القبل..... (ص ١٠٦)	عواطف شرعية..... (ص ٣٨)
مقاطيع أو موظفون..... (ص ١٠٨)	الانجليزى المذعور..... (ص ٤٠)
مع السلف الصالح!..... (ص ١١٠)	الجمام والقرصان..... (ص ٤٣)
سيدة طيبة..... (ص ١١٢)	شيء من الفن..... (ص ٤٦)
عصر الآلة..... (ص ١١٤)	ولدا أم بنتا؟..... (ص ٤٩)
فتاة غامضة..... (ص ١١٦)	فلسفة الشعر..... (ص ٥٣)
القبلة الحانية..... (ص ١١٩)	في عصر الآلة..... (ص ٥٧)
عيون حاملة..... (ص ١٢١)	مقاطيع في بيكاديللى..... (ص ٥٩)
لماذا الجرس؟..... (ص ١٢٣)	الآنسة المتجردة..... (ص ٦٢)
قبلة تليفونية..... (ص ١٢٥)	الشيش المقود..... (ص ٦٤)
أنظر يمينك..... (ص ١٢٧)	نوع من الققط..... (ص ٦٧)
الرجل الغريب..... (ص ١٢٩)	الجمام المقدس..... (ص ٧١)
أدب المزعج..... (ص ١٣٣)	اتفضل معانا!..... (ص ٧٣)
أين بناء الامبراطورية..... (ص ١٣٥)	هل هي أنثى؟..... (ص ٧٥)
مصر في لندن..... (ص ١٣٧)	الشحاذا الصغير..... (ص ٧٨)
الإبرة الخالدة..... (ص ١٣٩)	عيون خائفة..... (ص ٨١)
هل هي بطتى؟..... (ص ١٤٣)	عبادة الشمس..... (ص ٨٣)
وداعا يا لندن..... (ص ١٤٥)	في ركن الخطباء..... (ص ٨٥)